

في الكتاب والسنة

رسالة موجزة تبين مفهوم الشفاعة
وحدودها وآثارها البناءة وشروطها وطلبها

تأليف

جعفر السبحاني


بسم الله الرحمن الرحيم

الشفاعه فی الکتاب و السنه

کاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

نشرت فی الطباعهٔ:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الشفاعه فی الکتاب و السنه

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸

عنوان و نام پدیدآور : الشفاعه فی الکتاب و السنه رساله موجزه تبین مفهوم الشفاعه و حدودها و آثارها.../ تالیف جعفر السبحانی

مشخصات نشر : نشر مشعر، ۱۳۷۴.

مشخصات ظاهری : ص ۱۱۰

فروست : (علی مائده العقیده۱)

یادداشت : چاپ دوم ۱۴۰۰۰ :۱۳۸۰ ریال۷-۷۵-۵۶۲۶-۹۶۴ ISNB

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس موضوع : شفاعت رده بندی کنگره : BP۲۲۲/۷/س۲ش۷ ۱۳۷۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۴

شماره کتابشناسی ملی : م۷۴-۳۹۰۹

تمهید

تمهید

یتّسم الدین الإسلامی فی أبرز ما یتّسم به ، بأنّه دین الدنیا والآخرة ، ومن هنا یجب علی المسلم أن یهتم بالجانبین ، فیعمل لآخرته کما یعمل لدنیاه ، ویتزوّد من حیاته الحاضرة لحیاته الأبدیّة المستقبلة کما قال تعالی: (وَابْتَغِ فِیمَا آتَاکَ اللهُ الدَّارَ الاْخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِیبَکَ مِنْ الدُّنْیا)(۱) ولهذا کان من الواجب علی المسلم أن یعمل بالفرائض الدینیة ، ویتجنّب المحرّمات الإلهیة ، ویلتزم بقواعد الشرع الحنیف ، جهد إمکانه ، فیصلّی الخمس ، ویصوم شهر رمضان ، ویزکّی ماله ، ویحجّ بیت الله الحرام ، ویأمر بکل خیر قَدِر علیه ، ویعتمد فی تحصیل السعادة الأُخرویة علی العمل الصالح ، والطاعة لله تعالی ، کیف وقد نصّت الآیات القرآنیة علی أنّ کلّ امرئ مرهون بعمله ، إن خیراً فخیر وإن شراً فشر؟! کما نصّت الأحادیث الشریفة المأثورة عن رسول الله ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ وعترته الطاهرة وصرّحت بضرورة العمل والطاعة للحصول علی النجاة والسعادة الأُخرویّتین . فقد روی أنّ الإمام الصادق ـ علیه السلام ـ أمر بحضور جمیع أقربائه قبیل وفاته ، ثمّ التفت إلیهم وأکّد علی أهمیة الصلاة . وإلیک الحدیث بأکمله: روی أبو بصیر عن أصحاب الإمام قال: دخلت علی أُمّ حمیدة (زوجة الإمام جعفر الصادق ـ علیه السلام ـ) أُعزّیها بأبی عبد الله ـ علیه السلام ـ فبکت وبکیت لبکائها ، ثم قالت: یا أبا محمد لو رأیت أبا عبد الله ـ علیه السلام ـ عند الموت لرأیت عجباً ، فتح عینیه ، ثم قال: «اجمعوا کلّ من بینی وبینه قرابة» . ــــــــــــــــ (۱) القصص : ۷۷ .

(۳)

قالت: فما ترکنا أحداً إلاّ جمعناه ، فنظر إلیهم ثم قال: «إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة»(۱) . فلیس للمسلم أن یعول علی شیء إذا أهمل الواجبات وترک الفرائض ، أو استهان بها . نعم ، خلق الإنسان ضعیفاً ـ بحکم جبلته ـ محاصَراً بالشهوات ، محاطاً بالغرائز ، ولذلک ربما سها ولها ، وربّما بدرتْ منه معصیة ، واستحوذ علیه الشیطان ، ووقع فی شباکه وشراکه ، فعصی من حیث لا یرید ، وخالف من حیث لا یجب ، ثم تعرّض لضغط الوجدان ، ووخْزِ الضمیر ، فهل له أن ییأس فی هذه الحالة ویقنط ، وقد قال ربّ العزّة: (لاَـ یَیْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلاَّ الْقَوْمُ الکَافِرُونَ)(۲) کلاّ لیس له إلاّ الرجاء فی رحمة الله ، والأمل فی عفوه ولطفه ، وقد فتح الإسلام نوافذ الأمل والرجاء أمام العاصی النادم ، لیعود إلی ربه ، ویواصل مسیرة تکامله فی ثقة وطمأنینة . ومن هذه النوافذ: التوبة والإنابة

والاستغفار ، ومنها: الشفاعة للمذنبين ، الشفاعة التى تنالهم وفق معايير وردت فى الكتاب والسنّة ، الشفاعة التى يبعث الأمل فيها بصيصاً من الرجاء فى نفوس العصاة ، ويمنع من قنوطهم ويأسهم ، ويبعث فيهم روح العمل والنشاط . وهذا لا يعنى تمهيد الطريق للعصاة ، لما للشفاعة من شروط وقيود ، بل هى عملية زرع الأمل ، والرجاء فى النفوس ، مادام الأصل هو العمل ـــــــــــــــــ

(١) الوسائل٣: ٧١ . (٢) يوسف : ٨٧ .

(۴)

والإتيان بالواجبات واجتناب المحرمات . وتوضيحاً لهذه الحقيقة ، وتبييناً لهذا المفهوم القرآنى الإسلامى أعددنا هذا الفصل ، آملين أن نلقى الضوء على إحدى السبل الإسلامية لمعالجة اليأس والقنوط الذى يصيب المذنبين ويقع الكلام فى مباحث . (۵)

المبحث الأوّل : موقف علماء الإسلام من

المبحث الأوّل : موقف علماء الإسلام من الشفاعة

أجمع علماء الأُمّة الإسلاميّة على أنّ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أحد الشفعاء يوم القيامة مستدلّين على ذلك بقوله سبحانه: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)(١) والذى أُعْطى هوحقّ الشفاعة الذى يُرضيه، وبقوله سبحانه: (عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)(٢)واتّفق المفسّرون على أنّ المقصود من المقام المحمود ، هو مقام الشفاعة . إنّ الشفاعة من المعارف القرآنية التى لا يصح لأحد من المسلمين إيجاد الخلاف والنقاش فى أصلها ، وإن كان يمكن لهم الاختلاف فى بعض فروعها ، فها نحن نورد آراء كبار علماء الإسلام ـ من القدامى والجدد ـ حتى يُعلَم موقفهم من هذا الأصل: ١ ـ أبو منصور الماتريدى السمرقندى (ت ٣٣٣ هـ) ، إمام أهل السنّة فى المشرق الإسلامى ، قال بعد أن أورد قوله سبحانه: (وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)(٣) ، وقوله تعالى: (وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى)(۴) قال: إنّ الآية الأُولى وإن كانت تنفى الشفاعة ، ولكن هنا شفاعة مقبولة فى الإسلام وهى التى تشير إليها هذه

ـــــــــــ(١) الضحى : ۵ . (٢) الإسراء : ٧٩ . (٣) البقرة : ۴٨ . (۴) الأنبياء : ٢٨ .

(۶)

الآية(١) . ٢ ـ تاج الإسلام أبوبكر الكلاباذى (ت ٣٨٠ هـ) قال: إنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ الإقرار بجملة ما ذكر الله سبحانه وجاءت به الروايات عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الشفاعة واجب ، لقوله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)(٢)ولقوله: (عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)(٣) وقوله: (وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى)(۴) . وقال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «شفاعتى لأهل الكبائر من أُمّتى»(۵) . ٣ ـ الشيخ المفيد (٣٣۶ ـ ۴١٣ هـ) قال: اتّفقت الإماميّة على أنّ رسول الله يشفع يوم القيامة لجماعة من مرتكبى الكبائر من أُمّته ، وإنّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يشفع فى أصحاب الذنوب من شيعته ، وإنّ أئمة آل محمد: كذلك ، وينجى الله بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين(۶) .

وقال فى موضع آخر: إنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يشفع يوم القيامة فى مذنبى أُمّته فيشفّعه الله عزّ وجلّ ، ويشفع أمير المؤمنين فيشفّعه الله عزّ وجلّ ، وتشفع الأئمة فى مثل ما ذكرناه فيُشفّعهم الله ، ويشفع المؤمن البر لصديقه المؤمن المذنب فتنفعه شفاعته ، ويشفّعه الله . وعلى هذا القول إجماع الإمامية إلاّ من شذّ منهم ، وقد نطق به القرآن ، وتظاهرت به الأخبار ، قال الله تعالى فى الكفّار عند إخباره عن حسراتهم وعلى الفائت لهم ممّا ـــــــــــــــــ (١) تفسير الماتريدى المعروف بـ «تأويلات أهل السنّة»: ص ١۴٨ ، والمشار إليه هى الآية الثانية . (٢) الضحى : ۵ . (٣) الإسراء : ٧٩ . (۴) الأنبياء : ٢٨ . (۵) التعرّف لمذهب أهل التصوّف: ص ۵۴ ـ ۵۵ تحقيق د . عبد الحليم محمود ، شيخ الأزهر الأسبق . (۶) أوائل المقالات ، ص ١۵ .

(٧)

حصل لأهل الإيمان: (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ* وَلاَ صَدِيق حَمِيم)(١ ;)وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «إنّى أشفع يوم القيامة

فأَشفّع ، ويشفع عليّ ـ عليه السلام ـ فيشفّع ، وإنّ أدنى المؤمنين شفاعة يشفع فى أربعين من إخوانه»(۲) . ۴ ـ الشيخ الطوسى (۳۸۵ ـ ۴۶۰ هـ) قال: حقيقة الشفاعة عندنا أن يكون فى إسقاط المضار دون زيادة المنافع ، والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فَيشفِّعه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحقين من أهل الصراط لما روى من قوله ـ عليه السلام ـ : «ادّخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أُمّتى ، والشفاعة ثبت عندنا للنبى ، وكثير من أصحابه ولجميع الأئمة المعصومين وكثير من المؤمنين الصالحين»(۳) . ۵ ـ الإمام أبو حفص النسفى (ت ۵۳۸ هـ) قال: والشفاعة ثابتة للرسل والأخيار فى حقّ الكبائر بالمستفيض من الأخبار(۴) .

وقد أيّد التفتازانى فى «شرح العقائد النسفية» هذا الرأى وصدّقه دون أى تردّد أو توقّف(۵) . ۶ ـ الزمخشرى (ت ۵۳۸ هـ) قال فى تفسير قوله تعالى: (وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ)(۶): كانت اليهود تزعم أنّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فَأُويِسوا .

ـــــــــــ (۱) الشعراء : ۱۰۰ ـ ۱۰۱ . (۲) أوائل المقالات: ص ۵۳ . (۳) التبيان ۱: ۲۱۳ ـ ۲۱۴ . (۴) العقائد النسفية: ص ۱۴۸ . (۵) المصدر نفسه. (۶) البقرة : ۴۸ .

(۸)

ثم أتى بكلام فى حد الشفاعة وأنّها للمطيعين لا للعاصين ، وسنوافيك عن ذلك فى فصل خاص(۱) . ۷ ـ القاضى عياض بن موسى (ت ۵۴۴ هـ) قال: مذهب أهل السنّة هو جواز الشفاعة عقلا ووجودها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق ، وقد جاءت الآثار التى بلغت بمجموعها التواتر بصحّة الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين ، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنّة عليها(۲) . ۸ ـ الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندرى المالكى قال فى كتابه «الانتصاف فيما تضمّنه الكشاف من الاعتزال»: وأمّا من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها ، وأمّا من آمن بها وصدّقها وهم أهل السنّة والجماعة فأُولئك يرجون رحمةَ الله ، ومعتقدهم أنّها تنال العصاة من المؤمنين وإنما ادّخرت لهم ، وليس فى الآية دليل لمنكريها ;لأنّ قوله (يوماً) فى قوله : (۳)(وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْس شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) أخرجه منكراً . ولا شك أنّ فى القيامة مواطن ، يومها معدود بخمسين ألف سنة . فبعض أوقاتها ليس زماناً للشفاعة وبعضها هو الوقت الموعود ، وفيه المقام المحمود لسيّد البشر ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد وردت آيات كثيرة ترشد إلى تعدّد أيامها واختلاف أوقاتها ، منها قوله تعالى: (فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ)(۴) ، مع قوله: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض يَتَسَاءَلُونَ)(۵) ، فيتعيّن حمل الآيتين على يومين مختلفين ـــــــــــ (۱) الكشاف ۱: ۳۱۴ ـ ۳۱۵ . (۲) صحيح مسلم بشرح النووى ۳: ۳۵ ، ط دار إحياء التراث العربى . (۳) البقرة : ۴۸ . (۴) المؤمنون : ۱۰۱ . (۵) الصافات : ۲۷ .

(۹)

ووقتين متغايرين ، أحدهما محل للتساؤل ، والآخر ليس له ، وكذلك الشفاعة ، وأدلّة ثبوتها لا تُحصى كثرة(۱) . ۹ ـ البيضاوى قال فى تفسير قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْس شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)(۲) : ربّما تجعل الآية ذريعة على نفى الشفاعة لأهل الكبائر . وأُجيبوا بأنّها مخصوصة بالكفّار ، للآيات والأحاديث الواردة فى الشفاعة . ويؤيده أنّ الخطاب هنا مع الكفّار ، والآية نزلت ردّاً لما كانت اليهود تزعم أنّ آباءهم تشفع لهم(۳) . ۱۰ ـ الفتال النيسابورى ـ من علماء القرن السادس الهجرى ـ قال: لا خلاف بين المسلمين أنّ الشفاعة ثابتة مقتضاها إسقاط المضار والعقوبات(۴) . ۱۱ ـ الرصاص ـ من علماء القرن السادس الهجرى ـ قال فى كتابه «مصباح العلوم فى معرفة الحى القيوم»: إنّ شفاعة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوم القيامة ثابتة قاطعة(۵) . ۱۲ ـ ابن تيمية الحرّانى الدمشقى (ت ۷۲۸ هـ) قال: للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى يوم القيامة ثلاث شفاعات ـ إلى أن قال: ـ وأمّا الشفاعة الثالثة فيشفع فى من استحقّ النار وهذه الشفاعة له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولسائر النبيّين والصدّيقين

ـــــــــــ (۱) الانتصاف المطبوع بهامش الكشاف ۱: ۲۱۴ ، ط ۱۳۶۷ هـ . (۲) البقرة : ۴۸ . (۳) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ۱: ۱۵۲ . (۴) روضة الواعظين : ۴۰۶ . (۵) مصباح العلوم فى معرفة الحى القيوم المعروف بـ (ثلاثين مسألة) .

(۱۰)

وغیرهم فی من استحق النار أن لا یدخلها ویشفع فی من دخلها(۱) . ۱۳ ـ ابن کثیر الدمشقی (ت ۷۷۳ هـ) قال فی تفسیر قوله سبحانه : (مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إلّاَ بِإِذْنِهِ)(۲): هذا من عظمته وجلاله وکبریائه عزّ وجلّ أنّه لا یتجاسر أحد علی أن یشفع لأحد عنده إلاّ بإذنه له فی الشفاعة کما فی حدیث الشفاعة عن الرسول ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ : «آتی تحت العرش فأخرّ ساجداً ، فیدعنی ما شاء الله أن یدعنی ، ثم یقال : ارفع رأسک وقل تسمع ، واشفع تشفع . قال: فیحدّ لی حدّاً فأدخلهم الجنّة»(۳) . ۱۴ ـ نظام الدین القوشجی (ت ۸۷۹ هـ) قال فی شرحه علی «تجرید الاعتقاد»: اتفق المسلمون علی ثبوت الشفاعة لقوله تعالی: (عَسَی أنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَاماً مَحْمُوداً) وفسّر بالشفاعة(۴) . ۱۵ ـ المحقّق الدوانی قال: الشفاعة لدفع العذاب ، ورفع الدرجات حق لمن أذن له الرحمن من الأنبیاء ، والمؤمنین بعضهم لبعض ، لقوله تعالی: (یَوْمَئِذ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِیَ لَهُ قَوْلا)(۵) . ۱۶ ـ الشعرانی قال فی المبحث السبعین: إنّ محمداً هو أوّل شافع یوم القیامة ، وأوّل مشفّع وأولاه فلا أحد یتقدّم علیه ، ثم نقل عن جلال الدین السیوطی: إنّ للنبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ یوم القیامة ثمان شفاعات ، وثالثها: فیمن استحقّ دخول النار أن یدخلها(۶) . ـــــــــــــ (۱) مجموعة الرسائل الکبری ۱: ۴۰۳ ـ ۴۰۴ . (۲) البقرة : ۲۵۵ . (۳) تفسیر ابن کثیر۱: ۳۰۹ . والحدیث مروی فی صحیح البخاری فی تفسیر سورة الإسراء ، ج ۶ ، لکن بلفظ آخر . (۴) شرح التجرید: ص ۵۰۱ ، ط ۱۳۰۷ هـ . (۵) شرح العقائد العضدیة: ص ۲۰۷ ، ط مصر . (۶) الیواقیت والجواهر۲: ۱۷۰ .

(۱۱) ۱۷ ـ العلاّمة المجلسی (ت ۱۱۱۰ هـ) قال: أمّا الشفاعة فاعلم أنّه لا خلاف فیها بین المسلمین بأنّها من ضروریات الدین وذلک بأنّ الرسول یشفع لأُمّته یوم القیامة ، بل للأُمم الأُخری ، غیر أنّ الخلاف إنّما هو فی معنی الشفاعة وآثارها هل هی بمعنی الزیادة فی المثوبات ، أو إسقاط العقوبة عن المذنبین ؟ والشیعة ذهبت إلی أنّ الشفاعة تنفع فی إسقاط العقاب وإن کانت ذنوبهم من الکبائر ، ویعتقدون أیضاً بأنّ الشفاعة لیست منحصرة فی النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ والأئمة من بعده ، بل للصالحین أن یشفعوا بعد أن یأذن الله لهم بذلک(۱) . ۱۸ ـ محمد بن عبد الوهاب (۱۱۱۵ ـ ۱۲۰۶ هـ) قال: وثبتت الشفاعة لنبینا محمد ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ یوم القیامة ولسائر الأنبیاء والملائکة والأولیاء والأطفال حسبما ورد ، ونسألها من المالک لها والآذن فیها بأن نقول: اللّهمّ شفّعْ نبینا محمداً فینا یوم القیامة أو اللّهمّ شَفِّعْ فینا عبادک الصالحین ، أو ملائکتک ، أو نحو ذلک مما یطلب من الله لا منهم ـ إلی أن قال: ـ إنّ الشفاعة حقّ فی الآخرة ، ووجب علی کلّ مسلم الإیمان بشفاعته ، بل وغیره من الشفعاء إلاّ أنّ رجاءها من الله ، فالمتعیّن علی کل مسلم صرف وجهه إلی ربّه ، فإذا مات استشفع الله فیه نبیه(۲) . ۱۹ ـ السید سابق قال: المقصود بالشفاعة سؤال الله الخیر للناس فی الآخرة . فهی نوع من أنواع الدعاء المستجاب ، ومنها الشفاعة الکبری ، ولا تکون إلاّ لسیّدنا محمد رسول الله ؛فانّه یسأل الله سبحانه أن یقضی بین

ـــــــــــــ (۱) بحار الأنوار ۸: ۲۹ ـ ۶۳ ؛ حق الیقین: ص ۴۷۳ . (۲) الهدیة السنیة ، الرسالة الثانیة: ص ۴۲ .

(۱۲)

الخلق لیستریحوا من هول الموقف ، فیستجیب الله له فیغبطه الأوّلون والآخرون ، ویظهر بذلک فضله علی العالمین وهو المقام المحمود الذی وعد الله به فی قوله سبحانه: (وَمِنْ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَکَ عَسَی أنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَاماً مَحْمُوداً)(۱) . ثم نقل الآیات والروایات الخاصة بالشفاعة والمثبتة لها وقد ذکر بعض شروط قبولها(۲) . ۲۰ ـ الدکتور سلیمان دنیا قال: والشفاعة لدفع العذاب ورفع الدرجات حقّ لمن أذن له الرحمن من الأنبیاء:والمؤمنین بعضهم لبعض لقوله تعالی: (یَوْمَئِذ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِیَ لَهُ قَوْلا)(۳) وقوله: (مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ)(۴) (۵). ۲۱ ـ الشیخ محمد الفقی قال: وقد أعطی الله الشفاعة لنبیه ولسائر الأنبیاء والمرسلین وعباده الصالحین وکثیر من عباده المؤمنین ؛لأنّه وإن کانت الشفاعة کلّها لله کما قال: (للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِیعاً)(۶) إلاّ أنّه تعالی یجوز أن یتفضّل بها علی من اجتباهم من خلقه واصطفاهم من عباده وکما یجوز أن یعطی من ملکه ما شاء لمن شاء ولا حرج(۷) .

هذا نزر من كثير ، وغيض من فيض أوردناه ليكون القارئ على بصيرة من موقف علماء الإسلام من هذه المسألة المهمة . والاستقصاء لكلمات المفسّرين والمحدّثين والمتكلّمين ، يدعونا إلى تأليف مفرد فى خصوص ــــــــــــــــ (۱) الإسراء : ۷۹ . (۲) العقائد الإسلامية: ص ۷۳ . (۳) طه : ۱۰۹ . (۴) البقرة : ۲۵۵ . (۵) محمد عبده ، بين الفلاسفة والكلاميين ۲: ۶۲۸ . (۶) الزمر : ۴۴ . (۷) التوسل والزيارة فى الشريعة المقدسة ، ص ۲۰۶ ، ط . مصر .

(۱۳)

هذا الفصل والغرض إراءة نماذج من كلماتهم . وهى نصوص وتصريحات لا تترك ريباً لمرتاب ، ولا شكاً لأحد بأنّ الشفاعة أصل من أُصول الإسلام نطق بها الكتاب الكريم ، وصرّحت بها السنّة النبوية والأحاديث المعتبرة من العترة الطاهرة ، وأنّ الاختلاف إنّما هو فى معناها وبعض خصوصياتها وسنوافيك بالتفاصيل . (۱۴)

المبحث الثانى : الشفاعة فى القرآن الكريم

المبحث الثانى : الشفاعة فى القرآن الكريم

وردت مادة الشفاعة فى القرآن الكريم بصورها المتنوعة ثلاثين مرّة فى سور شتّى ، ووقعت فيها مورداً للنفى تارة والإثبات أُخرى . هذا وينمّ كثرة ورودها والبحث حولها عن مدى اهتمام القرآن بهذا الأصل سواء فى مجال النفى أو فى مجال الإثبات . غير أنّ الاستنتاج الصحيح من الآيات يحتاج إلى جمع الآيات على صعيد واحد ، حتى يفسّر بعضها بعضاً ويكون البعض قرينة على الأُخرى . ومن الواضح أنّ الآيات المتعلّقة بالشفاعة على أصناف ، يرمى كلّ صنف إلى هدف خاص كالآتى: ۱ ـ الصنف الأوّل: ما ينفى الشفاعة

وهو آية واحدة، يقول سبحانهو تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(۱): إلّا أنّ الآية اللاحقة لهذه الآية تصرّح بوجود الشفاعة عند الله سبحانه ، إلّا أنّها مشروطة بإذنه: (مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)(۲) . قال العلّامة الطباطبائى: «إنّ لوازم المخالّة إعانة أحد الخليلين الآخر فى مهام أُموره ، فإذا كانت لغير وجه الله كان نتيجتها الإعانة على الشقوة الدائمة والعذاب الخالد كما قال تعالى بشأن الظالمين يوم القيامة : (يَا وَيْلَتِى ــــــــــــــــ (۱) البقرة : ۲۵۴ . (۲) البقرة : ۲۵۵ .

(۱۵) لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانَاً خَلِيلا* لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى)(۱) . أمّا الأخلّاء من المتقين فإنّ خُلّتهم تتأكد وتنفعهم يومئذ . وفى الخبر النبوى: إذا كان يوم القيامة انقطعت الأرحام وقلّت الأنساب وذهبت الإخوة إلاّ الإخوة فى الله ، وذلك قوله: (الأَخِلّاءُ يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتقين)(۲) (۳).

وعلى ذلك ، فكما أنّ المنفىّ هو قسم خاص من المخالة دون مطلقها ، فهكذا الشفاعة ، فالمنفىّ بحكم السياق ، قسم خاص من الشفاعة . أضف إلى ذلك أنّ الظاهر هو نفى الشفاعة فى حق الكفّار بدليل ما ورد فى ذيل الآية ، حيث قال: (وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ) . ۲ ـ الصنف الثانى: ما يفنّد عقيدة اليهود فى الشفاعة

وهو الآيات التى خاطبت اليهودَ الذين كانوا يعتقدون بأنّ أنبياءهم وأسلافهم يشفعون لهم وينجُّوهم من العذاب سواء كانوا عاملين بشريعتهم أو عاصين ، وأنّ مجرد الانتماء والانتساب يكفيهم فى ذلك المجال . يقول تعالى: (يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِى الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْس شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ)(۴) . إنّ وحدة السياق تقضى بأنّ الهدفَ من نفى قبول الشفاعة هو الشفاعة الخاطئة التى كانت تعتقدها اليهود فى تلك الفترة من دون أن يشترطوا فى الشفيع والمشفوع له شرطاً أو أمراً . ولا صلة لها بالشفاعة المحدودة ــــــــــــــــ (۱) الفرقان : ۲۸ ـ ۲۹ . (۲) الزخرف : ۶۷ . (۳) تفسير الميزان ۱۸ : ۱۲۸ . (۴) البقرة : ۴۷ ـ ۴۸ .

(۱۶)

المأذونة . ۳ ـ الصنف الثالث: ما ينفى شمولَ الشفاعة للكفّار

وهو الآيات التى يستشف منها نفى وجود الشفيع يوم القيامة للكفّار الذين انقطعت علاقتهم عن الله لأجل الكفر به وبرسله وكتبه ، كما انقطعت علاقتهم الروحية عن الشفعاء الصالحين لأجل انهماكهم فى الفسق والأعمال السيّئة ، فانّه ما لم يكن بين الشفيع والمشفوع له ، ارتباطٌ روحى لا ـ يقدر أو لا ـ يقوم الشفيع على إنقاذه وتطهيره وتزكيته . يقول تعالى:(يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)(۱)ويقول تعالى أيضاً: (إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ* وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ* فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ* وَلاَ صَدِيق حَمِيم) ويقول أيضاً:(وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ* حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ* فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)(۲) . ۴ ـ الصنف الرابع: ما ينفى صلاحية الأصنام للشفاعة

وهذا الصنف يرمى إلى نفى صلاحية الأصنام للشفاعة ، وذلك لأنّ عرب الجاهلية كانت تعبد الأصنام لاعتقادها بشفاعتها عند الله ، وهذه الآيات هى: أ ـ (وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُم أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَا كُنتُم تَزْعُمُونَ)(۳) . ـــــــــ (۱) الأعراف : ۵۳ . (۲) المدثر : ۴۶ ـ ۴۸ . (۳) الأنعام : ۹۴ .

(۱۷)

ب ـ (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُون اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِى السَّمَوَاتِ وَلاَ فِى الاَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)(۱) . ج ـ (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ)(۲) . د ـ (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُون اللهِ شُفَعَاءَقُلْ أَوَلَوْكَانُوالاَـيَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَـ يَعْقِلُونَ)(۳). هـ ـ (أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِى الرَّحْمَنُ بِضُرّ لاَـ تُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ)(۴) . والحاصل أنّ القرآن مع أنّه فنّد العقائد الجاهلية وعقائد الوثنيين فى باب الشفاعة ، وأبطل كون النظام السائد فى الآخرة عين النظام السائد فى الدنيا ، لم يُنكِر الشفاعة بالمرّة ، بل أثبتها لأوليائها ، فى إطار خاص وبمعايير خاصة . وعلى ذلك فالآيات النافية نزلت بشأن تلك العقيدة السخيفة التى التزمت بها الوثنية وزعمت بموجبها وحدة النظامين ، وأنّ تقديم القرابين والصدقات إلى الأصنام والخشوع والبكاء لديهم ، يُصحِّح قيامهم بالشفاعة وأنّهم قادرون على ذلك بتفويض منه سبحانه إليهم ، بحيث صاروا مستقلين فى الفعل والترك . والآيات المثبتة تشير إلى الشفاعة الصحيحة التى ليست لها حقيقةٌ سوى جريان فيضه سبحانه ومغفرته من طريق أوليائه إلى عباده بإذنه ـــــــــــــــــــ (۱) يونس : ۱۸ . (۲) الروم : ۱۳ . (۳) الزمر : ۴۳ . (۴) يس : ۲۳ .

(۱۸)

ومشيئته تحتَ شرائط خاصة . (۱۹) ۵ ـ الصنف الخامس: يخصّ الشفاعة به سبحانه

وهذه الآيات تبيّن أنّ الشفاعة مختصّة بالله سبحانه لا يشاركه فيها غيره ، والآيات الكريمة هى: أ ـ (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(۱) . ب ـ (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُون اللهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ)(۲) . ج ـ (اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِىّ وَلاَ شَفِيع أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ)(۳) . د ـ (قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالاَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(۴) . وجدير بالذكر أنّ الله سبحانه لا يشفع لأحد عند أحد ;فإنّه فوق كل شىء ، وذلّ كل شىء لديه ، وبذلك يُصبح معنى قوله سبحانه: (للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً)رفضاً لعقيدة المشركين التى أشار إليها سبحانه فى آية سابقة ، أعنى: (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُون اللهِ شُفَعَاءَ)(۵) ، فيكون المراد أنّ كل شفاعة فانّها مملوكة لله فانّه المالك لكل شىء ومنه شفاعتهم ، فلا يشفع أحد إلاّ بإذنه . فهنا شفاعتان: إحداهما لله ، والأُخرى لعباده المأذونين . فما لله ـــــــــــــــــــ (۱) الأنعام : ۵۱ . (۲) الأنعام : ۷۰ . (۳) السجدة : ۴ .

(۴) الزمر : ۴۴ . (۵) الزمر : ۴۳ .

(۲۰)

فمعناهـا: مالكيّته لكل شـفاعة مأذونـة بالأصالـة لا أنّه سـبحانه يشـفع لأحـد لـدى أحـد . وأما ما لعباده المأذونين ، فهى شـفاعتهم لمن ارتضاه سبحانه: وسنوافيك توضيحه فى الصنف السادس من الآيات . ۶ ـ الصنف السادس: يثبت الشفاعة لغيره سبحانه بشروط

إنّ هـذا الصـنف من الآيات يصـرّح بوجود شـفيع غير الله سـبحانه وأن شـفاعته تقبل عنـد الله تعالى فى إطار خاص وشـرائط معيّنـة فى الشـفيع والمشـفوع له . وهذه الآيات وإن لم تتضمن أسماء الشفعاء ، أو أصناف المشفوع لهم ، إلاّ أنّها تحدّد كلاًّ منهما بحدود واردة فى الآيات: أ ـ (مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)(۱) . ب ـ (مَا مِنْ شَفِيع إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ)(۲) . ج ـ (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً)(۳) . والضـمير فى قوله (لا يملكون) يرجع إلى الآلهة التى كانت تعبد ، وأُشير إليه فى قوله سبحانه: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً)(۴) . د ـ (يَوْمَئِذ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلا)(۵) . هـ ـ (وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)(۶) . و ـ (وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ ـــــــــــــــ (۱) البقرة : ۲۵۵ . (۲) يونس : ۳ . (۳) مريم : ۸۷ . (۴) مريم : ۸۱ ـ ۸۲ . (۵) طه : ۱۰۹ . (۶) سبأ : ۲۳ .

(۲۱) يَعْلَمُونَ)(۱) .

والضـمير المتّصل فى (يدعون) يرجع إلى الآلهة الكاذبة كالأصـنام فهؤلاء لا يملكون الشـفاعة إلاّ من شـهد بالحق وهم يعلمون ، أى شهد بعبوديّة ربّه ووحدانيّته كالملائكة والمسيح . ويستفاد من هذه الآيات الأُمور التالية: ۱ ـ إنّ هذه الآيات تصرّح بوجود شفعاء يوم القيامة يشفعون بشروط خاصة وإن لم تصرّح بأسمائهم وسائر خصوصياتهم . ۲ ـ إنّ شفاعتهم مشروطة بإذنه سبحانه ، حيث يقول: (إلاّ بإذنه) . ۳ ـ يشترط فى الشـفيع أن يكون ممّن يشـهد بالحق ، أى يشـهد بالله سـبحانه ووحدانيته وسائر صـفاته . ۴ ـ أن لا يظهر الشـفيع كلاماً يبعث غضب الله سـبحانه ، بل يقول قولا مرضـياً عنده ، ويدلّ عليه قوله: (وَرَضِىَ لَهُ قَوْلا) . ۵ ـ أن يعهد الله سبحانه له بالشفاعة كما يشـير إليه قوله: (إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً) . ثم إنّ هناك سؤالا يطرح فى هـذا المقام ، وهو كيف يصح الجمع بين هذا الصـنف من الآيات التى تثبت الشـفاعة لغيره سبحانه ، والصنف الخامس الذى يخصّها بالله سبحانه ؟ والجواب: أنّ مقتضى التوحيد فى الأفعال ، وأنّه لا مؤثر فى عالم الكون إلاّ الله سـبحانه ، ولا يوجد فى الكون مؤثر مسـتقل سواه ، وأنّ تأثير سائر العلل إنّما هو على وجه التبعية لإرادته سبحانه ومشيئته ، والاعتراف بمثل

ـــــــــــــــ (۱) الزخرف : ۸۶ .

(۲۲)

العلل التابعة لا ينافى انحصار التأثير الاسـتقلالى فى الله سـبحانه ، ومن ليس له إلمامٌ بالمعارف القرآنية يواجه حيرة كبيرة تجاه طائفتين من الآيات ; إذ كيف يمكن أن تنحصـر شؤون وأفعال ، كالشـفاعة ، والمالكية ، والرازقية ، وتوفّى الأرواح ، والعلم بالغيب ، والإشـفاء بـالله سـبحانه ، كمـا عليه أكثر الآيـات القرآنيـة ، بينما تنسب هـذه الأفعال فى آيات أُخرى إلى غير الله من عباده . فكيف ينسـجم هـذا الانحصار مع هـذه النسبة ؟ غير أن الملمّين بمعارف الكتاب العزيز يـدركون أنّ هـذه الأُمور على وجه الاسـتقلال والأصالـة قائمة بالله سبحانه ، مختصة به ، فى حين أنّ هذه الأُمور تصدر من الغير على وجه التبعية وفى ظل القدرة الإلهية . وقد اجتمعت النسـبتان فى قوله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى)(۱) . فهذه الآية عندما تنسب الرمى بصـراحة إلى النبى الأعظم ، تَسْلِبه عنه وتنسِبه إلى الله سبحـانه ، ذلك لأنّ انتساب الفعل إلى الله (الـذى منه وجود العبـد وقوّته وقـدرته) أقوى بكثير من انتسابه إلى العبـد ، بحيث ينبغى أن يعتبر الفعـلُ فعلا لله ، ولكن شـدّة الانتساب لا تسـلب المسؤوليـة عن العبـد . وعلى ذلك فإذا كانت الشـفاعة عبارة عن سـريان الفيض الإلهى (أعنى: طهارة العباد عن الذنوب وتخلّصـهم عن شوائب المعاصى) على عباده ، فهى فعل مختصّ بالله سبحانه لا يقدر عليه أحد إلاّ بقـدرته وإذنه . وبذلك تصح نسـبتُه إلى الله سـبحانه بالأصالة وإلى غيره بالتبعية ، ولا منافاة بين النسـبتين ، كالملكية ، فالله سـبحانه مالـك الملـك والملكوت ، ملـك السـماوات والأرض بإيجاده وإبـداعه ، ثم يملكه العبـد منه بإذنه ولا منافاة فى ذلك ، لأنّ الملكية

الثانیة علی طول الملکیة الأولی . ونظیرها کتابة أعمال العباد ، فالکاتب هو ــــــــــــــــ (۱) الأنفال : ۱۷ .

(۲۳)

الله سبحانه ، حیث یقول: (وَاللهُ یَکْتُبُ مَا یُبَیِّتُونَ)(۱) وفی الوقت نفسه ینسبها إلی رسله وملائکته ، ویقول: (بَلَی وَرُسُلُنَا لَدَیْهِمْ یَکْتُبُونَ)(۲) . فإذا کانت الملائکة والأنبیاء والأولیاء مأذونین فی الشفاعة ;فلا مانع من أن تنسب إلیهم الشفاعة ، کما تنسب إلی الله سبحانه ، غیر أنّ أحدهما یملک هذا الحقّ بالأصالة والآخر یملکها بالتبعیة . الصنف السابع: یُسمّی من تقبل شفاعتُه

ویتضمّن هذا الصنف أسماء وخصوصیات من تُقْبل شفاعته یوم القیامة . وهذه الآیات هی: أ ـ (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُکْرَمُونَ* لاَ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ* یَعْلَمُ مَا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ یَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنْ ارْتَضَی وَهُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ)(۳) . وهذه الآیات تصرّح بأنّ الملائکة التی اتّخذها المشرکون أولاداً لله سبحانه ، معصومون من کل ذنب لا یسبقون الله بالقول وهم بأمره یعملون ، ولا یشفعون إلاّ لمن ارتضاه الله سبحانه ، وهم مشفقون من خشیته . ب ـ (وَکَمْ مِنْ مَلَک فِی السَّمَوَاتِ لاَ تُغْنِی شَفَاعَتُهُمْ شَیْئاً إلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ یَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ یَشَاءُ وَیَرْضَی)(۴) . وهذه الآیة کالآیة السابقة تفید کون الملائکة ممّن ترضی شفاعتهم بإذن الله سبحانه فی حقّ من یشاء الله ویرضاه . ــــــــــــــــ (۱) النساء : ۸۱ . (۲) الزخرف : ۸۰ . (۳) الأنبیاء : ۲۶ ـ ۲۸ . (۴) النجم : ۲۶ .

(۲۴)

ج ـ (الَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَیُؤْمِنُونَ بِهِ وَیَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِینَ آمَنُوا)(۱) . وهذه الآیة تعد حملة العرش ومن حوله ممّن یستغفرون للّذین آمنوا . والآیة مطلقة;تشمل ظروف الدنیاوالآخرة. وهل طلب المغفرة إلاّ الشفاعة فی حقّ المؤمنین؟ هذه هی الأصناف السبعة من الآیات الواردة فی الشفاعة . فهی غیر نافیة علی وجه الإطلاق ، ولا مثبتة کذلک ، بل تثبتها تحت شروط خاصة وتصرّح بوجود شفعاء مأذونین ولا یذکر أسماءهم سوی الملائکة وذلک للمصلحة الکامنة فی هذا الإبهام ، ولأجل أن یتمیّز المقبول من المرفوض نورد خلاصة الآیات: الشفاعات المرفوضة:

۱ ـ الشفاعة التی کانت تعتقدها الیهود الذین رفضوا کل قید وشرط فی جانب الشافع والمشفوع له ، واعتقدوا أنّ الحیاة الأُخرویة کالحیاة الدنیویة ، حیث یُمکن التخلّص من عذاب الله سبحانه بالفداء . وقد ردّ القرآن فی کثیر من الآیات وقال: (وَلاَ یُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ یُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ یُنْصَرُونَ)(۲) وقد أوردنا هذا فی الصنف الثانی من الأصناف السبعة المذکورة . ۲ ـ الشفاعة فی حقّ من قطعوا علاقاتهم الإیمانیة مع الله سبحانه فلم یؤمنوا به أو بوحدانیته أو بقیامته ، أو أفسدوا فی الأرض ، وظلموا عباده ، أو غیر ذلک ممّا یوجب قطع رابطة العبد مع الله سبحانه حتی صاروا أوضح ــــــــــــــــ (۱) غافر : ۷ . (۲) البقرة : ۴۸ .

(۲۵)

مصداق لقوله سبحانه: (نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)(۱) ، وقوله سبحانه: (قَالَ کَذَلِکَ أَتَتْکَ آیَاتُنَا فَنَسِیتَهَا وَکَذَلِکَ الْیَوْمَ تُنْسَی)(۲) ، وقوله سبحانه: (فَالْیَوْمَ نَنسَاهُمْ کَمَا نَسُوا لِقَاءَ یَوْمِهِمْ هَذَا)(۳) إلی غیر ذلک من الآیات الواردة فی حق المشرکین والکافرین والظالمین والمفسدین ; وهؤلاء کما قطعوا علاقتهم الإیمانیة مع الله سبحانه کذلک قطعوا صلاتهم المعنویة مع الشافع ، فلم تبق بینهم وبین الشافعین أیّه مشابهة تصحح شفاعتهم له . وقد ورد فی الصنف الثالث من الأصناف السبعة المذکورة ما یوضح هذا الأمر . ۳ ـ الأصنام التی کانت العرب تعبدها کذباً وزوراً ، وقد نفی القرآن أن تکون هذه الأصنام قادرة علی الدفاع عن نفسها فضلا عن الشفاعة فی حقّ عبادها . (لمزید من التوضیح راجع الصنف الرابع من الأصناف المذکورة) . هذه هی الشفاعات المرفوضة فی القرآن الکریم . الشفاعات المقبولة :

أما الشفاعات المقبولة فهی: ۱ ـ الشفاعة التی هی من حقّ الله سبحانه ، ولیس للمخلوق أن ینازعه فی هذا الحق أو یشارکه فیه (لاحظ الصنف الخامس من الأصناف السبعة) . ۲ ـ شفاعة فئة خاصة من عباد الله سبحانه ، الذین تقبل شفاعتهم عند ــــــــــــــــ (۱)

الحشر : ١٩ . (٢) طه : ١٢۶ . (٣) الأعراف : ٥١ .

(٢۶)

الله بشروط خاصة ذكرت فى الآيات الواردة فى الصنف السادس وإن لم تُذكَر أسماؤهم وخصوصياتهم . ٣ ـ شفاعة الملائكة وحملة العرش ومن حوله ، حيث يستغفرون للّذين آمنوا ، فهؤلاء يقبل استغفارهم الذى هو قسم من الشفاعة ، والفرق بين هذا وما تقدّم ، هو أنّه قد ذكرت أسماء الشفعاء وخصوصياتهم فى هذه الآيات دون ما تقدمها . وبالوقوف على هذه الأصناف السبعة بإمكاننا تمييز الشفاعة المرفوضة عن المقبولة كما نصّ عليها القرآن الكريم . (٢٧)

المبحث الثالث : حقيقة الشفاعة

المبحث الثالث : حقيقة الشفاعة

إنّ الشفاعة فى القرآن الكريم على معان أو أقسام ثلاثة: أ ـ الشفاعة التكوينية . ب ـ الشفاعة القيادية . ج ـ الشفاعة المصطلحة . أ ـ الشفاعة التكوينية

اتّفق الواعون من المسلمين على أنّه لا مؤثر مستقل فى الوجود غيره سبحانه ، وأنّ غيره مفتقر فى الوجود والتأثير إليه سبحانه ، ولأجل ذلك صار شعار القرآن فى حق الإنسان وفى حق غيره قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ* إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْق جَدِيد* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيز)(١) وقوله سبحانه: (وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ)(٢) وقال سبحانه على لسان نبيّه الكريم موسى ـ عليه السلام ـ : (رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْر فَقِيرٌ)(٣) . ــــــــــــــــــــ (١) فاطر : ١٥ ـ ١٧ . (٢) محمد : ٣٨ . (٣) القصص : ٢۴ .

(٢٨)

فبما أنّ عالم الكون عالم إمكانى لا يملك من لدن ذاته وجوداً ولا كمالا ، بل كلّ ما يملك من وجود وكمال فقد أُفيض إليه من جانبه سبحانه فهو بحكم الإمكان موجود مفتقر فى عامة شؤونه وتأثيره وعلّيته . ونظراً لتوقف تأثير كل ظاهرة كونيّة على إذنه سبحانه كما جاء فى قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالاْرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الاْمْرَ مَا مِنْ شَفِيع إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)(١) فانّ الآية بعدما تصف اللهَ سبحانه بأنّه خالق السماوات والأرض فى ستة أيام وأنّه استوى بعد ذلك على العرش ، وأنّه يدبر أمر الخلق ، تُعلِن بأنّ كل ما فى الكون من العلل الطبيعية والظواهر المادية يؤثر بعضه فى البعض بإذنه سبحانه ، وأنّه ليست هناك علّة مستقلة فى التأثير ، بل كل ما فى الكون من العلل ، ذاته وتأثيره ، قائمان به سبحانه وبإذنه ، فالمراد من الشفيع فى الآية هو الأسباب والعلل المادية وغيرها ، الواقعة فى طريق وجود الأشياء وتحقّقها وإنّما سمِّيت العلة شفيعاً; لأنّ تأثيرها يتوقف على إذنه سبحانه ، فهى (مشفوعةً إلى إذنه سبحانه) تؤثر وتعطى ما تعطى . وعلى ذلك تخرج الآية عن الدلالة على الشفاعة المصطلحة بين المفسّرين وعلماء الكلام ، وإنّما اخترنا هذا المعنى لوجود قرائن فى نفس الآية ، فانّها تبحث فى صدرها عن خلق السماوات والأرض وتحديد مدّة الخلق والإيجاد بستة أيام ، ثم ترجع الآية ، وتنص على سعة قدرته على جميع ما خلق وإحاطته بهم ، وأنّه بعدما خلق السماوات والأرض ، استوى على عرش القدرة وأخذ يدبّر العالم . وعند ذلك يتساءل القارئ: إذا كان الله جلّ وعلا هو المدبّر والمؤثّر فما حال سائر المدبّرات والمؤثّرات التى ــــــــــــــــــــ (١) يونس : ٣ .

(٢٩)

يلمسها البشر فى حياته ؟ فللإجابة على هذا السؤال قال سبحانه: (مَا مِنْ شَفِيع إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) مصرِّحاً بأنّ كل تأثير وتدبير فى سبب من الأسباب إنّما هو بإذنه ومشيئته ، ولولا إذنه ومشيئته لما قام السبب بالسببية ، ولا العلة بالعلية ، وهذه القرائن توجب حمل هذه الجملة على ما يجرى فى عالم الكون والوجود من التأثير والعلية ، وتفسيرها بالشفاعة التكوينية ، وأنّ كل ظاهرة مؤثرة كالشمس

والقمر والنار والماء لا تؤثر إلّا بالاستمداد من قدرته سبحانه والاعتماد على إذنه ومشيئته حتى يتم بذلك التوحيد فى الخالقية والتدبير . ب ـ الشفاعة القيادية

وهو قيام قيادة الأنبياء والأولياء والأئمة والعلماء والكتب السماوية مقام الشفيع والشفاعة فى تخليص البشر من عواقب أعمالهم وآثار سيئاتهم . والفرق بين الشفاعة المصطلحة والشفاعة القيادية هو أنّ الشفاعة المصطَلحة توجب رفع العذاب عن العبد بعد استحقاقه له ، والشفاعة القيادية توجب أن لا ـ يقع العبد فى عداد العصاة حتى يستحق . والظاهر أنّ إطلاق الشفاعة على هذا القسم ليس إطلاقاً مجازياً ، بل إطلاق حقيقى . وقد شهد بذلك القرآن والأخبار ، قال سبحانه: (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(۱) . والضمير المجرور فى (به) يرجع إلى القرآن(۲) . ولا شك أنّ ظرف شفاعة هذه الأُمور إنّما هو الحياةُ الدنيويةُ ، فانّ ــــــــــــــــــــ (۱) الأنعام : ۵۱ . (۲) مجمع البيان ۲: ۳۰۴ .

(۳۰)

تعاليم الأنبياء وقيادتهم الحُكمية وهداية القرآن وغيره ، إنّما تتحقّق فى هذه الحياة الدنيوية ، وإن كانت نتائجها تظهر فى الحياة الأُخروية ، فمن عمل بالقرآن وجعله أمامه فى هذه الحياة ؛قاده إلى الجنّة فى الحياة الأُخروية . ولأجل ذلك نرى أنّ النبى الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يأمر الأُمّة بالتمسك بالقرآن ويصفه بالشفاعة ويقول: «فإذا التَبست عليكم الفتنُ كقطع الليل المظلم فعليكُم بالقرآن فإنّه شافعٌ مشفَّع وماحِل مصدَّق ، ومن جَعَلَه أمامَه قاده إلى الجنّة ، ومن جعله خلفَه ساقه إلى النار ، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل وبرهان»(۱) . فإنّ قوله: «ومن جعله أمامه» ، تفسير لقوله: «فإنّه شافع مشفَّع» . والحاصل: أنّ الشفاعة القيادية شفاعة بالمعنى اللغوى ، فإنّ المكلّفين بضمّ هداية القرآن وتوجيهات الأنبياء والأئمة إلى إرادتهم وطلباتهم ، يفوزون بالسعادة ويصلون إلى أرقى المقامات فى الحياة الأُخروية ويتخلّصون عن تبعات المعاصى ولوازمها . فالمكلّف وحده لا ـ يصل إلى هذه المقامات ، ولا يتخلّص من تبعات المعاصى ، كما أنّ خطاب القرآن والأنبياء وحده ـ من دون أن يكون هناك من يسمع قولهم ويلبّى نداءهم ـ لا ـ يؤثر ما لم ينضم عمل المكلّف إلى هدايتهم ، وهدايتهم إلى عمل المكلّف فعندئذ تتحقّق هذه الغاية . ج ـ الشفاعة المصطلحة

وحقيقة هذه الشفاعة تعنى أن تصل رحمتُ سبحانه ومغفرته وفيضه إلى عباده عن طريق أوليائه وصفوة عباده ، وليس هذا بأمر غريب ؛ فكما أنّ ــــــــــــــــــــ (۱) الكلينى الكافى ۲: ۲۳۸ .

(۳۱)

الهداية الإلهية التى هى من فيوضه سبحانه ، تصل إلى عباده فى هذه الدنيا عن طريق أنبيائه وكتبه ، فهكذا تصل مغفرته سبحانه وتعالى إلى المذنبين والعصاة يوم القيامة من عباده عن ذلك الطريق . ولا يبعد فى أن يصل غفرانه سبحانه إلى عباده يوم القيامة عن طريق خِيرة عباده ، فإنّ الله سبحانه قد جعل دعاءهم فى الحياة الدنيوية سبباً ، ونصّ بذلك فى بعض آياته . فنرى أنّ أبناء يعقوب لمّا عادوا خاضعين ، رجعوا إلى أبيهم ، وقالوا له: (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ)(۱) فأجابهم يعقوب بقوله: (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)(۲) . ولم يقتصر الأمر على يعقوب فحسب ، بل كان النبى الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ممّن يستجاب دعاؤه أيضاً فى حق العصاة ، قال سبحانه : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً)(۳) . وهذه الآيات ونظائرها ممّا لم نذكرها مثل قوله: (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)(۴) تدلّ على أنّ مغفرته سبحانه قد تصل إلى عباده بتوسيط واسطة كالأنبياء ، وقد تصل بلا توسيط واسطة ، كما يفصح عنه سبحانه بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً)(۵) وقوله: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ)(۶) . إلى غير ذلك من ــــــــــــــــــــ (۱) يوسف : ۹۷ . (۲) يوسف : ۹۸ . (۳) النساء : ۶۴ . (۴) التوبة : ۱۰۳ . (۵) التحريم : ۸ . (۶) هود : ۹۰ .

(۳۲)

الآيات التى تكشف عن أنّ توبة العبد تجلب المغفرة بلا واسطة أحد وقد تصل بتوسيط واسطة هى من أعز عباده وأفضل خليقته وبريته . وتتضح هذه الحقيقة إذا وقفنا على أنّ الدعاء بقول مطلق ـ وبخاصة دعاء الصالحين ـ من المؤثرات الواقعة فى سلسلة نظام العلة والمعلول ، ولا ـ تنحصر العلة فى العلل الواقعة فى إطار الحس فإنّ فى الكون مؤثرات خارجة عن إحساسنا وحواسنا ، بل قد تكون بعيدة حتى عن تفكيرنا ، يقول سبحانه: (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً* وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً* وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً* فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً)(۱) . فما المراد من هذه (المدبّرات أمراً) أهى مختصة بالمدبّرات الطبيعية المادية ، أو المراد هو الأعم منها ؟ فقد روى عن على ـ عليه السلام ـ تفسيرها بالملائكة الأقوياء الذين عهد الله إليهم تدبير الكون والحياة بإذنه سبحانه ، فكما أنّ هذه المدبّرات يجب الإيمان بها وإن لم تعلم كيفية تدبيرها وحقيقة تأثيرها ، فكذلك الدعاء يجب الإيمان بتأثيره فى جلب المغفرة ، ودفع العذاب وإن لم تعلم كيفية تأثيره . ــــــــــــــــ (۱) النازعات : ۱ ـ ۵ .

المبحث الرابع : مبرّرات الشفاعة

المبحث الرابع : مبرّرات الشفاعة

هناك مبررات لجعل الشفاعة من أسباب المغفرة ورفع العذاب ، نورد بعضها على سبيل المثال: أ ـ ابتلاء الناس بالذنب والتقصير ربما يقال: إذا كان المنقذ الوحيد للإنسان يوم القيامة هو عمله الصالح كما صُرّح به فى الآيات فلماذا جعلت الشفاعة وسيلة للمغفرة وسبباً لرفع العذاب ، أوَ ليس الله بقائل: (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى)(۱) ، (فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُفْلِحِينَ)(۲) ، (وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً)(۳) وعلى ذلك فلماذا أُدْخِلت الشفاعة فى سلسلة العلل لجلب المغفرة؟ الإجابة على هذا السؤال واضحة فالفوز بالسعادة وإن كان يعتمد على العمل أشدّ الاعتماد ، غير أن صريح الآيات الأُخر هو أنّ العمل بنفسه ما لم تنضم إليه رحمته الواسعة لا يُنقِذ الإنسان من تبعات تقصيره ، قال سبحانه: (ــــــــــــــــ (۱) الكهف : ۸۸ . (۲) القصص : ۶۷ . (۳) القصص : ۸۰ .

(۳۴) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّة وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَل مُسَمّىً)(۱) ، (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ)(۲) . ب ـ سعة رحمته لكل شيء

إنّ التدبّر فى الآيات القرآنية يعطى أنّ رحمة الله سبحانه واسعة تسع كلّ الناس ، إلاّ من بلغ حداً لا يقبل التطهّر ولا الغفران . قال سبحانه حاكياً عن حملة العرش: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْء رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيم)(۳) نرى أنّ حملة العرش يدلّلون طلب غفرانه سبحانه للتائبين والتابعين لسبيله ، بكون رحمته واسعة وسعت كل شىء . كما نرى أنّه سبحانه يأمر نبيّه أن يواجه الناس كلّهم ـ حتى المكذّبين لرسالته ـ بقوله: (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَة وَاسِعَة)(۴) ونرى فى آية ثالثة يعد الذين يجتنبون الكبائر بالرحمة والمغفرة ويقول: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الاْثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ)(۵) وهذه الآيات توضح مضامين الأدعية الإسلامية من قوله ـ عليه السلام ـ : «يا من سبقت رحمتُه غضبَه» . كيف لا ! ونحن نرى أنّ الله سبحانه يعد القانط من رحمة الله والآيس ــــــــــــــــ (۱) النحل : ۶۱ . (۲) فاطر : ۴۵ . (۳) غافر : ۷ . (۴) الأنعام : ۱۴۷ . (۵) النجم : ۳۲ .

(۳۵)

من روحه كافراً وضالاّ ، ويقول: (وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)(۱) ، ويقول تعالى أيضاً: (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ)(۲) ، ويقول سبحانه: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)(۳) . فإذا عرَّفَنا القرآن أنّ الله سبحانه ذو رحمة واسعة تفيض على كل شىء ، فعند ذلك لا مانع من أن تفيض رحمته وغفرانه عن طريق أنبيائه ورسله وأوليائه ، فيقبل أدعيتهم فى حقّ عباده بدافع أنّه سبحانه ذو رحمة واسعة ، كما

لاـ مـانع أن يعتقـد العصاة فى شـرائط خاصـة بغفرانه سـبحانه من طرق كثيرة لأجل أنّه عـدّ القانط ضالاّ والآيس كافراً . وإجمالا: فكما يجب على المربّى الـدينى أن يذكّر عباد الله بعقوبته وعذابه وما أعدّ للعصاة والكفّار من سـلاسل ونيران ، يجب عليه أيضاً أن يذكّرهم برحمته الواسـعة ومغفرته العامة التى تشمل كل شىء ، إلاّ من بلغ من الخبث والرداءة درجة لا يقبل معها التطهير كما قال سبحانه: (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)(۴) . ج ـ الأصل هو السلامة

دلّت التجـارب والبراهين العقليـة على أنّ الأصـل الأوّلى فى الخليقـة هو السـلامة ، وأنّ المرض والانـحراف ـــــــــــــــــــ (۱) يوسف : ۸۷ . (۲) الحجر : ۵۶ . (۳) الزمر : ۵۳ . (۴) النساء : ۴۸ .

(۳۶)

أمران يعرضـان على المزاج ، ويزولاـن بالمـداواة والمعالجـة ، وليس هـذا الأصـل مختصـاً بالسـلامة من حيث العيوب الجسـمانية ، بل الأصل هو الطهارة من الأقـذار والأدران المعنويـة ، فقد خلق الإنسان على الفطرة النقيّة السـليمة من الشـرك والعصـيان التى أشار إليها القرآن بقوله: (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)(۱) ، وقال النبى الأكرم ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ : «كُل مولود يولد على الفطرة ثم أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»(۲) . وعلى ذلكّ فلا غرو فى أن تزول آثار العصـيان عن الإنسان بالعلاج والمـداواة الخاصة فى مواقف شتى حتى تظهر الخليقـة الأُولى التى فُطِر عليها ;فقـد جعل الله سـبحانه المواقف التى يمرّ بها الإنسان بعد موته فى البرزخ ويوم القيامـة ;وسائل لتطهير الإنسان وتصـفيته من آثار الذنوب وتبعاتها . ولا غرو فى أن يكون الشـفعاء المرضـيون عند الله ، أطباء يعالجون أُولئك المرضـى ، بتصـرفاتهم ونفوسـهم القويّة حتى يزيلوا عنهم غبار المعصية ، ودرن الذنب حتى تعود الجوهرة الإنسانية نقيّةً صافيةً ناصـعةً ، فيسـتحقّ الإنسان نعيمَ الآخرة ودخول الجنـة إلاّ من بلغ حـداً لا يقبل العلاج والتداوى ، لأجل أنّ ذاته قد انقلبت إلى ما يضاد الجوهرة الإنسانية النقية التى لا تقبل أيّةَ مداواة أو علاج ، كما لو اتّخذ لربّه شـريكاً فاستحق الخلودَ فى النار . فليس التوقّف فى البرزخ ولا فى المراحل المتنوعـة فى يوم القيامـة ولا الدخول فى النار مدةً محدودة ولا شـفاعة الأنبياء والأولياء فى حقّهم ، إلاّ تصـرّفاً تكوينياً فى حقّهم حتى تعود الجوهرة الأوليّة إلى حالتها الطبيعيـة ـــــــــــــــــــ (۱) الروم : ۳۰ . (۲) التاج الجامع للأُصول ۴ : ۱۸۰; تفسير البرهان ۳ : ۲۶۱ / ۵ .

(۳۷)

الأُولى وتصفو من كل شائبة تعلَّقت بها نتيجة العصيان والتمرد . د ـ الآثار البنّاءة والتربويّة للشفاعة

إنّ تشـريع الشفاعة ، والاعتراف بها فى النظام الإسلامى إنّما هو لأجل غايات تربوية تترتب على ذلك التشريع والاعتقاد به ;ذلك لأنّ الاعتقاد بالشـفاعة المقيّدة بشـروط معقولة ، من شأنه بعث الأمل فى نفوس العصاة وأفئدة المذنبين ، يدفعهم إلى العودة عن سـلوكهم الإجرامىّ ، وإعادة النظر فى منهج حياتهم . ولكن هناك من يعترض ويقول: إنّ الشـفاعة توجب الجرأة وتحيى روح التمرّد فى العصاة والمجرمين . إلاّ أنّ الواقع يفصح أنّ الشفاعة سبب فى إصلاح سلوك المجرم ووسيلة لتخلّيه عمّا يرتكبه من آثام وما يقترفه من ذنوب . وتظهر حقيقـة الحال إذا لاحظنا مسألـة التوبـة ، وهى التى اتفقت عليها الأُمّة ونصّ عليها الكتاب المجيد والحديث الشـريف ;فإنّه لو كان باب التوبة مُوصداً فى وجه العصاة والمذنبين ، واعتقد المجرم بأنّ عصيانه مرّة واحدة أو مرّات سيخلده فى عذاب الله ، ولا مناص له منه ، فلا شك أنّ هـذا الاعتقاد يوجب التمادى فى اقتراف السيّئات وارتكاب الـذنوب ;لأنّه يعتقـد بأنّه لو غيّر وضـعه وسـلوكه فى مسـتقبل أمره لا يقع ذلك مؤثراً فى مصـيره وخلوده فى عذاب الله ;فلا وجه لأن يترك المعاصى ويغادر اللذة المحرّمة ، ويتحمّل عناء العبادة والطاعة ، بل يستمر فى وضعه السابق حتى يوافيه الأجل . وهذا بخلاف ما إذا وجد الطريق مفتوحاً ، والنوافذ مشرعة واعتقد بأنّه سبحانه سيقبل توبته إذا كانت نصوحاً ، وأنّ رجوعه هذا سيغيّر مصيره فى (۳۸)

الآخرة ، ويُنقِذه من تبعات أعماله ، وأليم العـذاب ، فعند ذاك سيترك العصـيان ويرجع إلى الطاعة ويسـتغفر لذنوبه ويطلب الإغضاء عن سيئاته . فهـذا الاعتقاد له الأثر البنّاء فى تهـذيب الناس والشـباب خاصة ، وكم من شـباب اقترفوا السـيئات وأمضوا الليالى فى اللذة

المحرّمـة ، ثم عادوا إلى خلاف ما كانوا عليه فى ظل التّوبـة والاعتقاد بأنّها تجـدى المـذنبين ، وبأنّ أبواب الرحمة والفلاح مفتوحةٌ لم تغلق بعـد ، فعـادوا يسـهرون الليـالى فى العبادة ، ويحيونها بالطاعـة . وليس هـذا إلاّ أثر ذلك الاعتقاد ، وذاك التشـريع . ومثل ذاك ، الاعتقاد بالشـفاعة المحدودة ، فإنّه إذا اعتقد العاصـى بأنّ أولياء الله سبحانه قد يشفعون فى حقّه فى شرائط خاصة إذا لم يهتك الستر ، ولم يبلغ حـداً لا ـ تنفع معه شـفاعة الشافعين ، فعنـد ذاك سوف يعيـدُ النظر فى سيرته الشخصـيّة ، ويحاول تطبيق سلوكه على شـرائط الشـفاعة حتى يسـتحقّها ، ولا يحرمها . نعم ، إنّ الاعتقاد بالشفاعة المطلقة ، المحرّرة من كلّ قيد ، من جانب الشفيع والمشفوع له ، هو الذى يوجب التجرّى والتمادى فى العصـيان . وهذه الشـفاعة مرفوضة فى منطق العقل و القرآن ، وكأنّ المعترض قد خلط بين الشفاعة المحـدودة والشـفاعة المطلقـة من كـل قيـد ، ولم يُميز بينهما وبين آثارهما . فالشـفاعة الموجبـة للتجرّى ومواصـلة العناد والتمرّد ، هى الاعتقاد بأنّ الأنبياء والأولياء سيشـفعون فى حقّه يوم القيامة على كلّ حال وفى جميع الشـرائط وإن فعل ما فعل ، وارتكب ما ارتكب . وعند ذلك سيسـتمر فى عمله الإجرامى إلى آخر حياته رجاءَ تلك الشـفاعة التى لاتخضع لضابط ولا قانون ، ولا تقيّد بقيد ولا شـرط.

وأمّا الشفاعة التى نطق بها الكتاب وأقرّت بها الأحاديث واعترف بها (٣٩)

العقل فهى الشـفاعة المحدودة بشـرائط فى المشفوع له والشافع . ومجمل تلك الشرائط هو أن لا يقطع جميع علاقات العبودية مع الله ، ولا ـ يفصم وشـائجه الروحيـة مع الشـافعين ، ولا ـ يصل تمرّده إلى حـدّ القطيعـة ونسف الجسور . فالاعتقاد بهـذا النوع من الشـفاعة مثل الاعتقاد بتأثير التوبة فى الغفران ماهية وأثراً . هـ ـ الأمر بيده سبحانه أوّلا وآخراً

ما ذكرناه من الوجوه هى مبررات الشـفاعة والجهات التعليليـة لجعلها فى صـميم العقائد الإسـلامية ، ومع ذلك كلّه فالأمر إليه سـبحانه فهو إن شاء أذن فى الشـفاعة وإن لم يشأ لم يأذن ، وهو القائل سـبحانه: (مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَة فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(١) . وصـفوة القول: أنّ الشـفيع إنّمـا يشـفع بـإذنه ، وفى إطـار مشـيئَته ، وتحت الشـروط التى يرتضـيها ;إذ هو الذى يبعثُ الشـفيعَ على أن يشفع فى حقّ المشفوع له . وعند ذلك فلا تستلزم شفاعة الشافعين خروج الأمر عن يده ، وتحديد سلطته (تعالى) وملكه . ________________ (١) فاطر : ٢ .

(۴۰)

المبحث الخامس : أثر الشفاعة

المبحث الخامس : أثر الشفاعة هل هو إسقاط العقاب أو زيادة الثواب؟

هل إنّ نتيجة الشـفاعة هو حطّ ذنوب المذنبين وإسقاط العقاب والمضار عنهم والعفو عن العصاة ، أم هى زيادة الثواب ورفع الدرجات للمطيعين؟ لقد ذهب جمهور المسـلمين إلى الأوّل ، والمعتزلة إلى الثانى . إنّ فكرة الشـفاعة كانت عند اليهود والوثنيين قبل الإسـلام ، إلاّ ـ أنّ الإسـلام طرحهـا مهذّبـةً ممّـا علق بها من الخرافات . وغير خفى على من وقف على آراء اليهود والوثنيين فى أمر الشـفاعة ، أنّ الشـفاعة الدارجـة بينهم ـ خصوصاً اليهود ـ كانت مبتيّة على رجائهم لشـفاعة أنبيائهم وآبائهم فى حطّ ذنوبهم وغفران آثامهم ، ولأجل هـذا الاعتقاد كانوا يقترفون المعاصـى ، ويرتكبون الـذنوب تعويلا على ذلك الرجاء . وفى هـذا الموقف يقول سـبحانه ردّاً على تلك العقيـدة الباعثـة على الجرأة: (مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ)(١) . ويقول أيضـاً رفضاً لتلك الشـفاعة المحرّرة من كل قيـد: (ولا يشـفعون إلاّ ـ لمـن ارتضـى)(٢) . وحاصــل الآــيتين أنّ أصــل الشــفاعة الــتى يــدّعيها اليهــود ويلوذ بهــا الوثنيّون حقّ ثــابتٌ فى ________________ (١) البقرة : ٢٥٥ . (٢) الأنبياء : ٢٨ .

(۴۱)

الشـريعة السـماوية ، غير أنّ لها شـروطاً أهمّها إذنه سـبحانه للشافع ورضاؤه للمشـفوع له . ولعلّ أوضـح دليل على عمومية الشـفاعة فى الإسـلام ما اتّفق على نقله المحدِّثون من قوله ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ : «ادّخرتُ شفاعتى لأهل الكبائر من أُمّتى »(١) . فكان دافع

المعتزلـة بتخصيـص آيات الشـفاعة بأهل الطاعـة دون العصاة هو الموقف الـذى اتخـذوه فى حقّ العصاة ومقترفى الذنوب فى أبحاثهم الكلاميـة ;فإنّهم قالوا بخلود أهل العصيان فى النار . ومن الواضـح أنّ من يتخـذ مثل هذا الموقف لا يصح له أن يعمّم آيات الشـفاعة إلى العصـاة ، وذلـك لأنّ التخليـد فى النـار لا يجتمع مع التخلص عنها بالشـفاعة . قال الشـيخ المفيـد: اتّفقت الإماميـة على أنّ الوعيد بـالخلود فى النـار موجهـة إلى الكفّار خاصّـة ، دون مرتكبى الـذنوب من أهل المعرفـة بالله تعالى ، والإقرار بفرائضه من أهل الصـلاة . وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك ، وزعموا أنّ الوعيد بالخلود فى النار عام فى الكفّار وجميع فسّاق أهل الصـلاة . واتّفقت الإمامية على أنّ من عُـذِّب بـذنبه من أهل الإقرار والمعرفـة والصـلاة لم يخلـد فى العـذاب وأُخرج من النار إلى الجنـة ، فينعم فيها على الدوام ووافقهم على ذلك من عددناهم ، وأجمعت المعتزلةُ على خلاف ــــــــــــــــ (۱) سنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۱ وغيرها .

(۴۲)

ذلك وزعموا أنّه لا يخرج من النار أحـدٌ دخلها للعـذاب(۱) . نعم ، نسب العلاّمـة الحلى فى «كشف المراد» تلـك العقيـدة إلى بعض المعتزلة لا إلى جميعهم(۲) ، وكذلك نظامُ الدين القوشـجى فى شـرحه على التجريد(۳) . وقد خالفهم أئمة المسـلمين وعلماؤهم فى هـذا الموقف وقـالوا بجواز العفو عن العصـاة عقلاًـ وسـمعاً . أمّـا العقل فلأنّ العقاب حق لله تعالى فيجوز تركه . وأمّا السـمع ، فللآيات الدالّة على العفو فيما دون الشـرك ، قال سـبحانه: (إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)(۴) . والآية واردة فى حق غير التائب ;لأنّ الشـرك مغفور بالتوبـة أيضاً ، وقال سـبحانه: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَة لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ)(۵) أى تشملهم المغفرة مع كونهم ظالمين . وقال سـبحانه: (قُلْ يَا عِبَادِى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِـهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)(۶) ، إلى غير ذلك من النصوص المتضافرة على العفو فى حق العصاة . ومع ذلك لا مانع من شـمول أدلّة الشـفاعة لهم . وأوضح دليل على العفـو بـدون التوبـة قوله سـبحانه: (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَـلُ ــــــــــــــــ (۱) أوائـل المقالاـت: ص ۱۴ . (۲) كشف المراد فى شـرح تجريد الاعتقاد: ص ۲۶۱ ، ط صيدا . (۳) شرح التجريد: ص ۵۰۱ . (۴) النساء : ۴۸ . (۵) الرعد : ۶ . (۶) الزمر : ۵۳ .

(۴۳) التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ)(۱) فإنّ عطف قوله: (ويعفو عن السيئات)على قوله: (يقبل التوبة) بـ«واو العطف» ، يدلّ على التغاير بين الجملتين ، وإنّ هذا العفو لا يرتبط بالتوبة وإلاّ كان اللازم عطفُه بالفاء .

وقال سـبحانه: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِـيبَة فَبِمَا كَسَـبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِير)(۲) . فـإنّ الآيـة واردةٌ فى غير حق التائب ، وإلاّ فإنّ الله سبحـانه يغفر ذنوب التائب جميعها لا كثيرها مع أنّه سـبحانه يقول : (ويعفو عن كثير) . فتلخّص من ذلك أنّه لا مانع من القول بجواز العفو فى حق العصاة كما لا مانع من شمول آيات الشفاعة لهم . نعم ، يجب إلفات النظر إلى نكتة وهى أنّ بعض الذنوب الكبيرة ربما تقطع العلائق الإيمانية بالله سـبحانه ، كما تقطع الأواصـر الروحية مع النبى الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فصاحب هذه المعصية لا تشـمله الشـفاعة ، فيجـب عليـه دخـول النـار حتى يتطهّر بالعـذاب وتصـفو روحـه مـن آثـار العصـيان ، ويليـق لشـفاعة الشافعين .

ــــــــــــــــ (۱) الشورى : ۲۵ . (۲) الشورى : ۳۰ .

(۴۴)

المبحث السادس :طلب الشفاعة من المأذونين

المبحث السادس :طلب الشفاعة من المأذونين بالشفاعة

قـد تجلّتِ الحقيقة بأجلى مظاهرها وتبيّن أنّ النبى الأكرم ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ ولفيفاً من الأولياء والصالحين يشـفعون عند الله فى ظروف خاصـة وأنّهم مـأذونون من جـانبه سـبحانه يوم القيامـة . كما تبيّن أنّ المفهوم الواضـح لـدى العامّـة من الشـفاعة ، هو دعاء الرسول وطلبه من الله غفرانَ ذنوب عباده ، إذا كانوا أهلا لها . إذن يرجع طلب الشـفاعة من الشـفيع إلى طلب الدعاء منه لتلك الغاية ، وهل ترى فى طلب الدعاء من الأخ المؤمن إشـكالا ؟! فضـلا عن النبى الأكرم ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ ، الذى يُستجاب دعاؤه ولا

یُردّ بنص الذکر الحکیم(۱) . فعندما کان النبی الأکرم ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ حیّاً فی دار هجرته ، کان طلبُ أصحابِه الدعاءَ منه ، راجعاً إلی طلب الشفاعة منه والاختلاف فی الاسم لا فی الواقع والحقیقة . وبعد انتقاله من الدنیا إلی عالم البرزخ ، یرجع طلب الشفاعة منه أیضاً إلی طلب الـدعاء منه لا غیر . فلو أنّ أعرابیاً جاء إلی مسجده فطلب منه أن یستغفر له ، فقـد طلب منه الشـفاعة عند الله . ولو جاء ذاک الرجل بعد رحیله ، وقال له: یا أیّها النبی ، استغفر لی عند الله . أو قال: اشـفع لی عند الله، فالجمیع بمعنی واحد لبّاً وحقیقةً ، وإنّما یختلفان صورةً وظاهراً . فالإذعان بصحة أحدِهما ، والشک ـــــــــــــــ (۱) النساء : ۶۴ ، المنافقون : ۵ .

(۴۵)

فی صحة الآخر کالتفکیک بین المتلازمین . نعم ، هناک سؤالٌ یطرح نفسَه وهو أنّه إذا کان النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ حیّاً یُرزَق فی هذه الدنیا ویسمع کلام السائل ، فلا فرق بین طلب الدعاء وطلب الشفاعة . وأمّا بعد رحیله وانتقاله إلی رحمة الله الواسعة ، فلا یسمع کلامَ السائل ، بأیّ صفة خاطبَه وکلّمه سواء أقال: استغفر لی ، أم قال: اشفع لی . والإجابة واضحة ، لأنّ الکلام مرکّزٌ فی تبیین معنی طلب الشفاعة منه حیّاً ومیّتاً وأنّ حقیقته أمرٌ واحدٌ بجمیع صوره ، وأمّا أنّه یسمع أو لا یسمع ، أو أنّ الدعوة تنفع أو لا تنفع ، فهو أمرٌ نرجع إلیه بعد الفراغ من صمیم البحث . ولإیضاح الأمر نورد بعض النصوص من المفسّرین فی تفسیر الشفاعة: قال الإمام الرازی فی تفسیر قوله سبحانه: (الَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَیُؤْمِنُونَ بِهِ وَیَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ کُلَّ شَیْء رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِینَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِیلَکَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِیمِ)(۱) إنّ الآیة تدلّ علی حصول الشفاعة للمذنبین ، والاستغفار طلب المغفرة ، والمغفرة لا تُذْکر إلاّ فی إسقاط العقاب ، أمّا طلب النفع الزائد فإنّه لا یسمّی استغفاراً . وقوله تعالی: (ویستغفرون للّذین آمنوا) یدلّ علی أنّهم یستغفرون لکل أهل الإیمان ، فإذا دللنا علی أنّ صاحب الکبیرة مؤمن ، وجب دخوله تحت هذه الشفاعة(۲) . ـــــــــــــــ (۱) غافر : ۷ . (۲) مفاتیح الغیب ۷: ۲۸۵ ـ ۲۸۶ ، ط . مصر ، الجزء ۲۷: ۳۴ ط دار إحیاء التراث الإسلامی ، بیروت .

(۴۶)

نری أنّ الإمام الرازی جعل قول الملائکة فی حق المؤمنین والتائبین ، من أقسام الشفاعة ، وفسّر قوله: (فاغفر للّذین تابوا) بالشفاعة . وهذا دلیل واضح علی أنّ الدعاء فی حق المؤمن ، شفاعة فی حقّه ، وطلبه منه طلبُ الشفاعة . ونقل نظام الدین النیسابوری ، فی تفسیر قوله تعالی: (مَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً یَکُنْ لَهُ نَصِیبٌ مِنْهَا)(۱) عن مقاتل: إنّ الشفاعة إلی الله إنّما هی دعوة الله لمسلم ، لما روی عن النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ: «من دعا لأخیه المسلم بظهر الغیب استجیب له ، وقال الملک: ولک مثل ذلک»(۲) . والذی یوضح أنّ شفاعة النبی عبارة عن دعائه فی حقّ المشفوع له ، ما رواه مسلم فی «صحیحه» عن النبی الأکرم أنّه قال: «ما من میّت یُصلّی علیه أُمّة من المسلمین یبلغون مائة کلّهم یشفعون له إلاّ شُفِّعوا فیه»(۳) . وفسّر الشارح قوله ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ: «یشفعون له» بقوله: أی یدعون له ، کما فسّر قوله ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ: «إلاّ شُفِّعوا فیه» بقوله: أی قبلت شفاعتهم . وروی أیضاً عن عبد الله بن عباس أنّه قال: سمعت رسول الله یقول: «ما من رجل مسلم یموت فیقوم علی جنازته أربعون رجلا لا یشرکون بالله شیئاً إلاّ شفّعهم الله فیه»(۴) أی قبلت شفاعتهم فی حق ذلک المیت فیغفر له . فإذا کان مرجع الاستشفاع من الصالحین إلی طلب الدعاء ، فکل من یطلب من النبی الشفاعة لا یقصد منه إلاّ المعنی الشائع(۵) . ـــــــــــــــ (۱) النساء : ۸۵ . (۲) غرائب القرآن بهامش تفسیر الطبری: ۵ : ۱۱۸ . (۳) صحیح مسلم ۴: ۵۳ ، ط . مصر ، مکتبة محمد علی صبیح وأولاده . (۴) المصدر نفسه . (۵) لو کان للشفاعة معنی آخر من التصرف التکوینی فی قلوب المذنبین ، وتصفیتهم فی البرزخ ، ومواقف القیامة فهو أمر عقلی لا یتوجّه إلیه إلاّ الأوحدی من الناس .

(۴۷)

إلی هنا تبیّن أنّ طلب الشفاعة یرجع إلی طلب الدعاء ، وهو أمر مطلوب فی الشرع من غیر فرق بین طلبه من الشفیع فی حال حیاته أو مماته ، فهو لا یخرج عن حد طلب الدعاء ، وأمّا کونه ناجعاً أو لا ؟ فهو أمر آخر نرجع إلیه کما مرّ . والذی یحقّق هذا الأمر هو صدور

مثله من السلف الصالح فی العصور المتقدمهٔ وإلیک نزراً منه: السلف وطلب الشفاعهٔ من النبی الأکرم ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ ۱ ـ الأحادیث الإسلامیهٔ وسیرهٔ المسلمین تکشفان عن جواز هذا الطلب ، ووجوده فی زمن النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فقد روی الترمذی فی «صحیحه» عن أنس قوله: سألت النبی أن یشفع لی یوم القیامهٔ ، فقال: «أنا فاعل» ، قال: قلت: یا رسول الله فأنّی أطلبک ، فقال: «اطلبنی أوّل ما تطلبنی علی الصراط»(۱) . فالسائل یطلب من النبی الأعظم ، الشفاعهٔ دون أن یخطر بباله أنّ هذا الطلب یصطدم مع أُصول العقیدهٔ . ۲ ـ هذا سواد بن قارب ، أحد أصحاب النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ یقول مخاطباً إیّاه: فکن لی شفیعاً یوم لا ذو شفاعهٔ * بمغن فتیلا عن سواد بن قارب(۲) ۳ ـ روی أصحاب السیر والتاریخ ، أنّ رجلا من قبیلهٔ حمیر عرف أنّه سیولد فی أرض مکهٔ نبی الإسلام الأعظم ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ ، ولما خاف أن لا ـــــــــــــــــــــ (۱) صحیح الترمذی ۴: ۶۲۱ ، کتاب صفهٔ القیامهٔ ، الباب ۹ . (۲) الإصابهٔ ۲: ۹۵ ، الترجمهٔ ۳۵۷۶ ، وقد ذکر طرق روایته البالغهٔ إلی ست ، وراجع أیضاً الروض الأُنف ۱: ۱۳۹ ; بلوغ الإرب ۳: ۲۹۹ ; عیون الأثر ۱: ۷۲ .

(۴۸)

یدرکه ، کتب رسالهٔ وسلّمها لأحد أقاربه حتی یسلّمها إلی النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ حینما یبعث ، وممّا جاء فی تلک الرسالهٔ قوله: «وإن لم أدرک فاشفع لی یوم القیامهٔ ولا تنسنی»(۱) ولمّا وصلت الرسالهٔ إلی ید النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ قال: « مرحباً بتُبّع الأخ الصالح» فإنّ وصف النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ لطالب الشفاعهٔ بالأخ الصالح، أوضح دلیل علی أنّه أمر لا یتعارض وأُصول العقیدهٔ. ۴ ـ وروی المفید عن ابن عباس أنّ أمیر المؤمنین ـ علیه السلام ـ لمّا غسّل النبیوکفّنه کشف عن وجهه وقال: «بأبی أنت وأُمّی طبتَ حیّاً وطبت میتاً . . . اذکرنا عند ربک»(۲). وروی الشریف الرضی فی «نهج البلاغهٔ»: أنّ علیّاً ـ علیه السلام ـ قال عندما ولی غسل رسول الله ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ : «بأبی أنت وأُمّی اذکرنا عند ربک واجعلنا من بالک»(۳) . ۵ ـ روی أنّه لمّا توفی النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ أقبل أبوبکر فکشف عن وجهه ثم أکبّ علیه فقبّله وقال: «بأبی أنت وأُمّی طبت حیاً ومیتاً اذکرنا یا محمد عند ربّک ولنکن من بالک»(۴) . وهذا استشفاع بالنبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فی دار الدنیا بعد موته . ۶ ـ وختاماً نذکر ما ذکره الدکتور عبد الملک السعدی فی کتابه «البدعهٔ فی مفهومها الإسلامی الدقیق»: أمّا طلب الشفاعهٔ من رسول الله ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ بصورهٔ عامّهٔ وبدون قید بعد أذان أو غیره فقد ورد فی السنّهٔ ، حیث قد طلبها منه بعض الصحابهٔ ـ رضی الله عنهم ـ دون نکیر من رسول الله ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ ـــــــــــــــــــــ (۱) ابن شهر آشوب ۱: ۱۲ ; السیرهٔ الحلبیهٔ: ۲ : ۸۸ . (۲) مجالس المفید ، المجلس الثانی عشر: ص ۱۰۳ . (۳) نهج البلاغهٔ : الخطبهٔ ۲۳۵ . (۴) السیرهٔ الحلبیّهٔ ۳: ۴۷۴ ، ط دار المعرفهٔ بیروت .

(۴۹)

. والأحادیث الواردهٔ بهذا الخصوص وبمواضع ومناسبات عدیدهٔ کثیرهٔ جداً نذکر منها: عن مصعب الأسلمی قال: انطلق غلام منّا فأتی النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ وقال: إنّی سائلک سؤالا قال: «وما هو ؟» قال: أسألک أن تجعلنی ممَّن تشفع له یوم القیامهٔ ، قال: «من أمرک هذا ؟» أو «من علّمک هذا ؟» أو «من دلّک علی هذا ؟» قال: ما أمرنی به أحد إلاّ نفسی ، قال: «فإنّک ممّن أشفع له یوم القیامهٔ» . أورده الهیتمی فی مجمع الزوائد وقال: رواه الطبرانی . وقد أورد الهیتمی بهذا الموضوع کثیراً من الأحادیث(۱) . هذا فی حیاته ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ . أمّا بعد انتقاله إلی الرفیق الأعلی فهل یصح طلب الشفاعهٔ منه لا سیما أمامَ قبره الشریف وعند السلام علیه ؟ بما أنّه ثبت بما لا یقبل الشک أنّ الأموات یسمعون ویتکلّمون ویدعون فی عالم البرزخ وبخاصهٔ هو ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ عندما یُسلَّم علیه تردّ إلیه روحه الشریفهٔ ، فلا موجب للتفرقهٔ فی طلب الشفاعهٔ بین حیاته قبل انتقاله وبین حیاته ;الحیاهٔ البرزخیهٔ بعد انتقاله . ومن ادّعی المنع فعلیه بالدلیل والله الموفق(۲) . کل هذه النصوص تدلّ علی أنّ طلب الشفاعهٔ من النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ کان أمراً جائزاً وشائعاً ، وذلک لأنّهم یرونه مثل طلب الدعاء منه ، ولا فرق بینها وبینه إلاّ فی اللّفظ ، وقد عرفت صحّـهٔ إطلاق لفظ الشفاعهٔ علی الدعاء ، والاستشفاع علی طلب الدعاء ، وممّـا یدلّ علی ذلک أنّ البخاری عقد بابین

ـــــــــــــــــ (۱) مجمع الزوائد ۱۰: ۳۶۹ ; صحيح مسلم ۱: ۲۸۹ . (۲) البدعة فى مفهومها الإسلامى: ص ۱۰۵ ـ ۱۰۶ .

(۵۰)

بهذين العنوانين ، وهما: ۱ ـ إذا استشـفعوا ليستسقى لهم لم يردهم . ۲ ـ وإذا استشـفع المشركون بالمسلمين عند القحط(۱) . فنرى أنّ البخـارى يطلق لفـظ الاستشـفاع على الـدعاء وطلبه من الإمام فى العام المجـدب ، من دون أن يخطر بباله أنّ هـذا التعبير غير صـحيح . وعلى العموم أنّ طلب الشـفاعة من النبى ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ داخل فيما ورد من الآيات التاليـة: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَـهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْـتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً)(۲) ، (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْـتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ)(۳) . وقوله سبحانه: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ)(۴)فكلّ ما يدلّ على جواز طلب الـدعاء مـن المـؤمن الصالـح يمكن الاسـتدلال به على صـحة ذلـك . ـــــــــــــــــ (۱) البخـارى الصـحيح: الجزء ۲ ، كتـاب الاستسقاء ، الباب ۱۱ ـ ۱۲ . (۲) النساء : ۶۴ . (۳) يوسف : ۹۷ ـ ۹۸ . (۴) المنافقون : ۵ .

(۵۱)

المبحث السابع : أسئلة حول طلب الشفاعة

المبحث السابع : أسئلة حول طلب الشفاعة

قـد اتّضـح أنّ طلب الشـفاعة بمعنى طلب الـدعاء ;ليس ممّـا يرتـاب فى جوازه مؤمن واع ، عـارفٌ بالكتـاب والسـنّة ،نعم ربما تُثار هنا شبهات أو أسـئلة يجب رفعها أو الإجابة عليها وليست الأسـئلة مطروحة على صعيد واحد ، ولأجل ذلك نذكر كلّ واحد بعنوان يُعرّف مغزاه ، والجميع يرجع إلى طلب الـدعاء من الشـفيع بعـد رحيله بعـد تجويزه فى حيـاته . السؤال الأوّل: الشـفيع ميّت كيف يُطلبُ منه الدُعاء؟

إنّ طلب الشفاعة وإن كان طلب الدعاء لكنّه لا جدوى فيه لكون الشفيع بعد الموت لا يستطيع أن يقوم بالدعاء . على هامش السؤال : السؤال جدير بالدراسة والتحليل ، وهو عالق فى ذهن لفيف من الناس فهم يناجون فى أنفسـهم كيف يُطلَب الدُعاء والشـفاعة من النبى الأكرم وهو ميّت لا يستطيع على إجابـة طلب الطالب ؟ أوّلا: إنّ الرجوع إلى القرآن المجيـد ، واستنطاقه فى هـذا المجال يوقفنا على جليّة الحال ، وهو يعترف بموتهم مادياً لا موتهم على الإطلاق ، بل يصرّح بحياة لفيف من الناس الذين انتقلوا من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة من صالح وطالح ، وسعيد وشقيٍّ ، وها نحن نتلو على القارئ الكريم قسماً منها

(۵۲)

ليقف على أنّ الموت أمرٌ نسبى ، وليس بمطلق ، ولو صار بدن الإنسان جماداً ، ليس معناه بطلانه وانعدام شخصيته ، وليس الموت إلاّ انتقالا من دار إلى دار ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة وإليك لفيفاً من الآيات: ۱ ـ قال سبحانه: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتـاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)(۱) . والآيـة صـريحة فى المقصود ، صـراحةً لاـ تتصوّر فوقها صـراحة ، حيث أخبرت الآيـة عن حياتهم ورزقهم عند ربهم وتبشيرهم لمن لم يلحقـوا بهم ، ومـا يتفوهـون به فى حقّهم بقولهم: (لاـ خوف عليهم ولاـ هم يحزنون) . وعلى ذلـك فلو كـان الشـفيع أحـد الشـهداء فى سبيل الله تعالى فهل يكون هـذا المطلب لغواً ؟! ۲ ـ إنّ القرآن يعـدّ النبى شـهيداً على الأُمـم جمعاء ، ويقول سبحانه: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّة بِشَـهِيد وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَـهِيداً)(۲) . فالآيـة تصـرّح بأنّ النبى ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ شاهد على الشـهود الذين يشهدون على أُممهم فإذا كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شاهداً على الأُمم جمعاء ، أو على شهودهم فهل تعقل الشـهادة بدون الحياة ، وبدون الاطلاع على ما يجرى فيهم من الأُمور من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان؟! ولا يصح لك أن تفسّر شـهادة النبى ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ بشـهادته على معاصـريه فقط ، وذلك لأنّه سبحانه عدّ النبى شاهداً فى عداد كونه

مبشّراً ونذيراً ، وهل يتصوّر أحدٌ أن يختص الوصفان الأخيران بمن كان يعاصر النبى ؟! ـــــــــــــ (۱) آل عمران : ۱۶۹ ـ ۱۷۰ . (۲) النساء : ۴۱ .

(۵۳)

كلاّ . فإذن لا وجه لتخصيص كونِهِ شاهداً على الأُمّة المعاصرة للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . ۳ ـ الآيات القرآنية صريحة فى امتداد حياة الإنسان إلى ما بعد موته ، يقول سبحانه فى حقّ الكافرين: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)(۱) . فهذه الآية تصرّح بامتداد الحياة الإنسانية إلى عالم البرزخ ، وإنّ هذا العالم وعاءٌ للإنسان يعذّب فيها مَن يُعذّب وينعَّم فيها من ينعَّم . أمّا التنعُّم فقد عرفت التصريح به فى الآية الواردة فى حقّ الشهداء . وأمّا العقوبة ، فيقول سبحانه: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)(۲) . ۴ ـ هذا هو الذكر الحكيم ينقل بياناً عن الرجل الذى جاء من أقصى المدينة ، وأيّد رسل المسيح ، فلمّا قتل خوطب باللّفظ التالى: (قيل ادخل الجنة) فأجاب بعد دخوله الجنة: (يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنْ الْمُكْرَمِينَ)(۳)إلى غير ذلك من الآيات الدالة على امتداد الحياة ، واستشعار لفيف من عباد الله لما يجرى هنا وهناك ، غير أنّا لا نَسمع بيانَهم ولا نفهم خِطابهم ، وهم سامعون ، عارفون بإذن الله سبحانه . ثانياً: إنّ الأحاديث الواردة فى هذا المورد فوق الحصر فحدِّث عنها ولا حرج ، وقد روى المحدِّثون عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «ما من أحد يسلّم علىّ

ـــــــــــــ (۱) المؤمنون : ۹۹ ـ ۱۰۰ . (۲) غافر : ۴۶ . (۳) يس : ۲۶ ـ ۲۷ .

(۵۴) إلاّ ردّ الله روحى حتى أردّ عليه السلام»(۱). كما نَقَلوا قوله: «إنّ لله ملائكةً سيّاحين فى الأرض يبلّغونى من أُمّتى السلام»(۲) . ثالثاً: نرى أنّه سبحانه يسلّم على أنبيائه فى آيات كثيرة ، ويقول: (سَلاَمٌ عَلَى نُوح فِى الْعَالَمِينَ) ، (سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) ، (سَلاَمٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) ، (سَلاَمٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ) ، (وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ)(۳) .

كما يأمرنا بالتسليم على نبيّه والصلوات عليه ويقول بصريح القول: (إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)(۴) ، فلو كان الأنبياء والأولياء أمواتاً غير شاعرين بهذه التسليمات والصلوات فأىّ فائدة فى التسليم عليهم وفى أمر المؤمنين فى الصلاة ;بالسلام على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ والمسلمون أجمع يسلّمون على النبى فى صلواتهم بلفظِ الخطاب ، ويقولون: السلامُ عليك أيّها النبى ورحمة الله وبركاته ، وحَمْلُ ذلك على الشعارِ الأجوف والتحية الجوفاء ، أمرٌ لا يجترئ عليه من له إلمامٌ بالقرآن والحديث . السؤال الثانى: الشفيع ميّت وهو لا يسمع ؟

هذا هو السؤال الثانى الذى ربّما يُطرَح فى المقام ، وهو أيضاً جديرٌ بالدراسة ، ولكنّه فى التحقيق صورةٌ صغيرة من السؤال السابق ، فالتركيز ـ هنا ـ على خصوص عدم السماع ، ولكنّه فى السابق على معنىً أعم وهو عدم ـــــــــــــ (۱) وفاء الوفا ۴: ۱۳۴۹ . (۲) المصدر نفسه: ص ۱۳۵۰ . (۳) الصافات : ۷۹ ، ۱۰۹ ، ۱۲۰ ، ۱۳۰ ، ۱۸۱ على الترتيب . (۴) الأحزاب : ۵۶ .

(۵۵)

الاستطاعة على شىء سماعاً كان أو غيره . ونقول: ربما يقال: ظاهر الذكر الحكيم على أنّ الموتى لا يسمعون ، حيث شبّه المشركين بهم . ووجه الشبه هو عدم السماع . قال: (إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ)(۱) ، فالآية تصف المشركين بأنّهم أموات وتشبِّهُهُم بها ، ومن المعلوم أنّ صحة التشبيه تتوقّف على وجود وجه الشبه فى المشبَّه به بوجه أقوى وليس وجه الشبه إلاّ أنّهم لا يسمَعون ، فعند ذلك تُصبح النتيجة: إنّ الأموات مطلقاً غير قابلين للإفهام ، ويدل على ذلك أيضاً قوله سبحانه: (إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِع مَنْ فِى الْقُبُورِ)(۲) . ووجه الدلالة فى الآيتين واحد . على هامش السؤال القرآن الكريم منزّه عن التناقض والاختلاف وكيف لا يكون كذلك وهو يقول: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً)(۳) وهو يصرّح فى غير واحد من آياته على أنّ الأنبياء كانوا يكلّمون الموتى ويخاطبونهم . ونلمس ذلك بوضوح فى قصتى صالح وشعيب .

أمّا الأولى: فالقرآن يحكى خطابَه لقومه ـ بعد هلاكهم وأخذ الرجفة لهم ـ فيقول: (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ* فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُحِبُّونَ ______________ (۱) النمل : ۸۰ . (۲) فاطر : ۲۲ . (۳) النساء : ۸۲ .

(۵۶) النَّاصِحِينَ)(۱) .

أمعن النظر فى قوله: (فتولّى) حيث تصدَّر بالفاء الدالة على الترتيب: أى بعدما عمّهم الهلاك أعرض صالح بوجهه عنهم وخاطبهم بقوله: يا قوم . . . أمّا الثانية فهى أيضاً قرينة الأُولى ونظيرتها قال سبحانه: (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ* الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ* فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)(۲) . إنّ الأُوليين من الآيات صريحتان فى نزول البلاء عليهم وإبادتهم وإهلاكهم جميعاً ـ فبعد ذلك ـ يخاطبهم نبيُّهم شعيب معرضاً بوجهه عنهم ، مشعراً بالتبرّى ويقول: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى . . . وليس لنا ، ولا لغيرنا تأويل القرآن لأخذ موقف مسبق فى الموضوع ، بل يجب عرض الرأى عليه لا ـ عرض القرآن على الفكر الإنسانى . ونكتفى من الآيات بما تلوناه عليك وهناك آيات أُخرى موحدة فى المضمون نترك نقلها للاختصار . السنّة لا تتفق مع عدم السماع

إنّ السنّة الكريمة ، عدل القرآن ، يُحتَجُّ بها كما يُحتجّ به ، فقد أخذت موقف الإيجاب فهى لا تتفق مع عدم السماع وإليك نزراً يسيراً منها: ۱ ـ ما أنتم بأسمعَ منهم

هذه الكلمة ألقاها النبى الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عندما كان بمقربة من قتلى قريش ، وقد تقدّم ______________ (۱) الأعراف : ۷۸ ـ ۷۹ . (۲) الأعراف : ۹۱ ـ ۹۳ .

(۵۷)

ذكرها مفصّلا فى فصل: الحياة البرزخية فراجع(۱) . ۲ ـ رواية الصحابى الجليل: عثمان بن حنيف

روى الحافظ الطبرانى عن الصحابى الجليل عثمان بن حنيف: أنّ رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان فى حاجة له ، وكان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته ، فلقى ابنَ حنيف فشكا إليه ذلك ، فقال له ابنُ حنيف: إئت الميضأة ، فتوضّأ ثم ائتِ المسجد فصلِّ ركعتين ، ثم قل: اللّهمّ إنّى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمد نبىّ الرحمة ، يا محمد إنّى أتوجّه بك إلى ربّك أن تقضى حاجتى ، وتذكر حاجتك . فانطلق الرجل فصنع ما قال ، ثم أتى باب عثمان فجاءه البوّاب حتى أخذ بيده ، فأُدخِلَ على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة فقال: حاجتك ؟ فذكر حاجته وقضى له ، ثم قال له: ما ذكرتُ حاجتك حتى كانت الساعة ، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها ، ثم إنّ الرجل خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلىّ حتى كلّمتَه فىّ . فقال ابن حنيف: والله ما كلّمته ، ولكن شهدتُ رسول الله ، وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : إن شئت دعوتُ أو تصبر ، فقال: يا رسول الله إنّه ليس لى قائدٌ وقد شقّ علىّ ، فقال له النبى: ائت ______________ (۱) إنّ تكلّم رسول الله مع رؤوس الشرك الموتى الذين أُلقيت أجسادُهم فى البئر من مسلّمات التاريخ والحديث ، وقد أشار إلى هذا من بين المحدّثين والمؤرّخين: صحيح البخارى ۵: ۷۶ و ۷۷ ـ ۸۷ فى معركة بدر ; صحيح مسلم۸: ۱۶۳ كتاب الجنة باب مقعد الميت ; سنن النسائى ۴: ۸۹ و ۹۰ باب أرواح المؤمنين ;مسند الامام أحمد ۲: ۱۳۱ ; السيرة النبوية ۱: ۶۳۹ ; المغازى۱: ۱۱۲ غزوة بدر ; بحار الأنوار ۱۹: ۳۴۶.

(۵۸)

الميضأة فتوضّأْ ثم صلّ ركعتين ثم ادعُ بهذه الدَعَوات . قال ابنُ حنيف: فو اللهِ ما تفرَّقْنا وطال بنا الحديثُ حتى دَخَلَ علينا الرجلُ كأنّه لم يكن به ضر(۱) . قال الترمذى: هذا حديث حقٌّ حسنٌ صحيحٌ . وقال ابن ماجة: هذا حديثٌ صحيحٌ . وقال الرفاعى: لا شك أنّ هذا الحديث صحيحٌ ومشهورٌ(۲) . السؤال الثالث: الشفاعة فعل الله

الشفاعة فعل الله سبحانه ، ولا ـ يُطلب فعلُه من غيره ، قال سبحانه: (قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالاْرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(٣) . فاذا كانت الشفاعة مملوكة لله وهو المالك لها ، فكيف يُطلَب ما يرجع إليه من غيره؟ على هامش السؤال

لا شك أنّ الشفاعة لله كما هو صريح الآية وما يرجع إليه سبحانه لا يُطلَب من غيره . مثلا إنّ الرزق والإحياء والإماتة له لا تُطلَب من عباده . غير أنّ المهم تشخيص ما يرجع إليه سبحانه ، وتمييزه ما أعطاه لعباده الصالحين . إنّ الشفاعة المطلقة ملك لله سبحانه ، فلا شفيع ولا ـ مشفوع له ، بلا إذنه ورضاه ؛فهو الذى يسنُّ الشفاعة ويأذن للشافع ، ويبعث المذنب إلى باب الشافع ليستغفر له ، إلى غير ذلك من الخصوصيات . فلا يملك الشفاعة بهذا ــــــــــــــــــ (١) صحيح الترمذى ج٥ كتاب الدعوات ، الباب ١١٩ ، رقم ٣٥٧٨ ؛ سنن ابن ماجة١: ٤٤١ / ١٣٨٥ ؛ مسند أحمد ۴: ١٣٨ وغير ذلك . (٢) التوصل إلى حقيقة التوسل: ص ١٥٨ . (٣) الزمر : ۴۴ .

(۵۹)

المعنى إلّا هو ، وبذلك يردّ القرآن على المشركين الذين كانوا يزعمون أنّ أربابهم يملكون الشفاعة المطلقة فالشفاعة بهذا المعنى غير مسؤولة ولا ـ مطلوبة من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . والمسؤول والمطلوب من النبى والصالحين هو الشفاعة المرخّصة المحدّدة ، من الله سبحانه ، أى ما رخّص لهم فى أن يشفعوا ويطلبوا لعباده الغفران ، فمثل هذه الشفاعة المرخّصة المأذونة ليست له; لأنّه سبحانه فوق كل شىء ، لا يَستأذن ولا يُؤذن ولا يُحدّد فعله . وبعبارة واضحة: المراد من قوله سبحانه: (قل لله الشفاعة جميعاً)(١)ليس أنه سبحانه هو الشفيع دون غيره ;إذ من الواضح أنّه سبحانه لا ـ يشفع عند غيره ، بل المراد أنّ المالك لمقام الشفاعة هو سبحانه وأنّه لا يشفع أحد فى حقّ أحد إلّا بإذنه للشفيع وارتضائه للمشفوع له ، ولكن هذا المقام ثابت لله سبحانه بالأصالة والاستقلال ، ولغيره بالاكتساب والإجازة ، قال سبحانه: (وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(٢) . فالآية صريحة فى أنّ من شهد بالحق يملك الشفاعة ولكن تمليكاً منه سبحانه وفى طول ملكه . وعلى ذلك فالآية أجنبية عن طلب الشفاعة من الأولياء الصالحين الذين شهدوا بالحق وملكوا الشفاعة ، وأُجيزوا فى أمرها فى حقّ من ارتضاهم لها . ــــــــــــــــــ (١) الزمر : ۴۴ . (٢) الزخرف : ٨۶ .

(۶۰)

وأنت أيّها الأخ المتحرر من كل رأى مسبق ، إذا لاحظتَ ما ذكرته سابقاً فى تفسير الآية ، يتضح لك ، أنّ طلب الشفاعة من الصالحين ، ليس طلبَ فعله سبحانه من غيره . السؤال الرابع: طلب الشفاعة يشبه عمل المشركين

إنّ طلب الشفاعة يشبه عمل عَبَدة الأصنام فى طلبهم الشفاعة من آلهتهم الكاذبة الباطلة ، وقد حكى القرآن ذاك العمل منهم ، قال سبحانه: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ)(١) وعلى ذلك فالاستشفاع من غيره سبحانه عبادة لهذا الغير . ــــــــــــــــــ (١) يونس : ١٨ . (۶١) على هامش السؤال

ما كنت أُفكّر أيّها الأخ أن تغتر بظواهر الأعمال وتقضى بالبساطة والسذاجة ، مع أن القرآن أمر بالتدبّر والتفكّر والدقّة فى مصادر الأعمال وجذورها ، لا بالاغترار بظاهرها . فالفرق واضحٌ بين عمل المسلم والمشرك لأنّك إذا أمعنتَ النظر فى مضمون الآية تقف على أنّ المشركين كانوا يقومون بعملين: ١ ـ عبادة الآلهة ويدلّ عليه: (ويعبدون . . .) . ٢ ـ طلب الشفاعة ويدل عليه: (ويقولون . . .) . وكان علّة اتّصافهم بالشرك هو الأوّل لا الثانى ;إذ لو كان الاستشفاع بالأصنام عبادة لها بالحقيقة ، لما كان هناك مبرّرٌ للإتيان بجملة أُخرى ، أعنى قوله: (ويقولون هؤلاء شفعاؤُنا) بعد قوله: (ويعبدون . . .) إذ لا ـ فائدة لهذا التكرار ، وتوهم أنّ الجملة الثانية توضيحٌ للأُولى خلاف الظاهر ;فإنّ عطف الجملة الثانية على الأُولى يدلّ على المغايرة بينهما . إذاً لا دلالة للآية على أنّ الاستشفاع بالأصنام كان عبادة ، فضلا عن كون الاستشفاع بالأولياء المقربين عبادة لهم . وهناك فرق واضح بين طلب شفاعة الموحِّد من أفضل الخليقة ـ عليه أفضل التحية ـ وطلب شفاعة المشرك ، حيث إنّ الأوّل يطلب الشفاعة منه بما أنّه عبدٌ صالح أذن له سبحانه ليشفع فى عباده تحت شرائط خاصة ، بخلاف المشرك ;فإنّه يطلب الشفاعة منه ، بما أنّه ربّ يملك الشفاعة يعطيها من يشاء ويمنعها عمّن يشاء

. أفيصح عطفُ أحدهما على الآخر والحكم (۶۲)

بوحدتهما جوهراً وحقيقة ؟! كيف يصح لمسلم واع اتخاذ المشابهة دليلا على الحكم ، فلو صح ذلك لزم عليه الحكم بتحريم أعمال الحج والعمرة فانّها مشابهة لأعمال المشركين ، أمام أربابهم وآلهتهم . (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)(۱) . السؤال الخامس: إن طلب الشفاعة دعاء الغير ، وهو عبادة له

طلب الحاجة من غيره سبحانه حرام ;فانّ ذلك دعاء لغير الله وهو حرام . قال سبحانه: (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً)(۲)وإذا كانت الشفاعة ثابتة لأوليائه وكان طلب الحاجة من غيره حراماً فالجمع بين الأمرين يتحقّق بانحصار جواز طلبها من الله سبحانه خاصة ، ويوضح ذلك قوله سبحانه: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)(۳) ، فقد عبّر عن العبادة في الآية بلفظ الدعوة في صدرها وبلفظ العبادة في ذيلها ، وهذا يكشف عن وحدة التعبيرين في المعنى . وقد ورد قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «الدعاء مخّ العبادة» . على هامش السؤال

لا ـ أظن أنّ أحداً على وجه البسيطة يجعل الدعاء مرادفاً للعبادة . وإلاّ ـ لم يمكن تسجيل أحد من الناس ـ حتى الأنبياء ـ في ديوان الموحدين ، فلابد أن يقترن بالدعاء شيءٌ آخر ، ويصدر الدعاء عن عقيدة خاصة في المدعوّ وإلاّ فمجرّد دعوة الغير حياً كان أو ميتاً ، لا يكون عبادة له . هل ترى أنّ الشاعرة التي تخاطب شجر الخابور بقولها: ـــــــــــــــــــ (۱) ق : ۳۷ . (۲) الجن : ۱۸ . (۳) غافر : ۶۰ .

(۶۳) أيا شجر الخابور ما لك مورقا * كأنّك لم تجزع على ابن طريف أنّها عبدته ؟ كلاّ ثم كلاّ . إنّ العمل لا يتّسم بالعبادة إلاّ إذا كانت في نية الداعي عناصر تضفي عليه صفة العبادة وحدّها ;وهو الاعتقاد بإلوهية المدعو وربوبيته وإنّه المالك لمصيره في عاجله وآجله ، وإن كان مخلوقاً أيضاً . والمراد من الدعاء في قوله تعالى: (فلا تدعوا مع الله أحداً) ليس مطلق دعوة الغير ، بل الدعوة الخاصة المضيّقة المترادفة للعبادة ، ويدلّ عليه قوله سبحانه في نفس هذه الآية: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ) . وما ورد في الحديث من «أنّ الدعاء مُخُّ العبادة» فليس المراد منه مطلق الدعاء ، بل المراد دعاء الله مخ العبادة . كما أنّ ما ورد في الروايات من أنّه : من أصغى إلى ناطق فقد عَبَدَه ، فإنْ كان ينطق عن الله فقد عبد الله ، وإن كان ينطق عن غير الله فقد عبد غيرالله.(۱) فليس المراد من العبادة هنا: العبادة المصطلحة ، بل استعيرت في المقام لمن يجعل نفسه تحت اختيار الناطق . وعلى ذلك فيكون المراد من النهي عن دعوة الغير هو الدعوة الخاصة المقترنة بالاعتقاد ، أي كون المدعو ذا اختيار تام في التصرّف في الكون وقد فُوِّض إليه شأن من شؤونه سبحانه . فإذا كان طلب الشفاعة مقترناً بهذه العقيدة فانّه يُعَدُّ عبادةً للمشفوع إليه . وإلاّ فيكون طلب الحاجة كسائر الطلبات من غيره سبحانه الذي لا يشك ذو مسكة في عدم كونه عبادة . وبعبارة أُخرى: طلب الشفاعة إنّما يُعَدُّ عبادة للشفيع إذا كان مقروناً ـــــــــــــــــــ (۱) الكافي ۶: ۴۳۴ / ۴ .

(۶۴)

بالاعتقاد بإلوهيته وربوبيته ، وأنّه مالك لمقام الشفاعة أو مفوَّض إليه ، يتصرّف فيها كيف يشاء ، وأمّا إذا كان الطلب مقروناً باعتقاد أنّه عبدٌ من عباد الله الصالحين يتصرف بإذنه سبحانه للشفاعة ، وارتضائه للمشفوع له ، فلا يُعَدُّ عبادة للمدعوّ ، بل يكون وزانه وزان سائر الطلبات من المخلوقين ، فلا يعدُّ عبادة بل طلباً محضاً ، غاية الأمر لو كان المدعو قادراً على المطلوب يكون الدعاء ـ عقلا ـ أمراً صحيحاً ، وإلا ـ فيكون لغواً . فلو تردّى إنسان وسقط في قعر بئر وطلب العون من الواقف عند البئر القادر على نجاته وإنقاذه ، يُعَدّ الطلب أمراً صحيحاً ، ولو طلبه من الأحجار المنضودة حول البئر يكون الدعاء والطلب منها لغواً مع كون الدعاء والطلب هذا في الصورتين غير مقترن بشيء من الإلوهية والربوبية في حق الواقف عند البئر ، ولا الأحجار المنضودة حولها . إنّ الآية تحدّد الدعوة التي تُعَد عبادة بجعل المخلوق في رتبة الخالق سبحانه كما يفصح عنه قوله: (مع الله)(۱) وعلى ذلك فالمنهيُّ هو دعوة الغير ، وجعله مع الله ، لا ما إذا دعا الغيرَ معتقداً بأنّه عبدٌ من عباده لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً ولا حياةً ولا بعثاً ولا نشوراً إلاّ بما يتفضل عليه

بإذنه ويقـدر عليه بمشـيئته ، فعند ذاك فالطلب منه بهذا الوصف يرجع إلى الله سـبحانه . وبذلك يبدو أنّ ما تدل عليه الآيات القرآنية من أنّ طلب الحاجة من الأصـنام كان شركاً فى العبادة ، إنّما هو لأجل أنّ المدعوّ عند الداعى كان إلهاً أو ربّاً مستقلا فى التصرف فى شأن من شؤُون وجوده أو فعله . قال سبحانه: (الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ)(۲) ترى أنّه ـــــــــ (۱) النمل : ۶۰ وغيرها . (۲) الأعراف: ۱۹۷.

(۶۵)

سبحانه يستنكر دعاءهم بقوله : (لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ)وقوله : (عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ)(۱) مُذكِّراً بأنّ عقيدتهم فى حق هؤلاء عقيدة كاذبة وباطلة فالأصـنام لا تستطيع نصرة أحد ، وهذا يكشف عن أنّ الداعين كانوا على جانب النقيض من تلك العقيدة وكانوا يعتقدون بتملّك الأصـنام لنصرهم وقضاء حوائجهم من عند أنفسهم . وحصيلة البحث: أنّ الدعاء ليس مرادفاً للعبادة ، وما ورد فى الآية والحديث من تفسير الدعاء بالعبادة لا يدل على ما يراه المستدِلّ ، فالمراد من الدعاء فيهما قسمٌ خاصٌّ منه ، وهو الدعاء المقترن باعتقادِ الإلوهية فى المدعو والربوبيّة فى المطلوب منه كما عرفت . ـــــــــ (۱) الأعراف : ۱۹۴ .

(۶۶)

المبحث الثامن : الشفاعة فى الأحاديث الإسلامية

المبحث الثامن : الشفاعة فى الأحاديث الإسلامية

لقد اهتمّ الحديث بأمر الشفاعة وحدودها وشرائطها وأسبابها وموانعها اهتماماً بالغاً لا يوجد له مثيل إلاّ فى موضوعات خاصة تتمتع بالأهمية القصوى ، وأنت إذا لاحظت الصحاح والمسانيد والسنن وسائر الكتب الحديثية لوقفت على جمهرة كبرى من الأحاديث حول الشفاعة بحيث تدفع الإنسان إلى الإذعان بأنّها من الأُصول المسلّمة فى الشريعة الإسلامية . ولأجل هذا التضافر نرى أنفسنا فى غنىً عن المناقشة فى الاسناد . نعم لوكانت هناك رواية اختصت بنكتة خاصة غيرموجودة فى الروايات الأُخر فإثبات النكتة الخاصة يحتاج إلى ثبوت صحة سندها كما هو المحقّق فى علم الحديث. ولما كانت الأحاديث حول الشفاعة وفروعها كثيرة جداً ، ومبثوثة فى الكتب جمعناها فى هذه الصحائف تحت عناوين خاصة ، ولسنا ندّعى أنّنا قد أحطنا بكل الأحاديث فى هذا المجال ، وإنّما ندّعى أنّا قد جئنا بقسم كبير من الأحاديث(۱) . ـــــــــ (۱) لقد جمع العلاّمة المجلسى أحاديث الشفاعة الواردة من طرق أئمة أهل البيت فى موسوعته «بحار الأنوار» فلاحظ ۸: ۲۹ ـ ۶۳ كما أنّه أورد بعضها فى الأجزاء التالية من موسوعته: بحار الأنوار ۱۰۰: ۱۱۶ ، ۱۶۲ ، ۱۷۰ ، ۲۶۵ ، ۳۰۳ ، ۳۰۷ ، ۳۳۱ ، ۳۴۰ ، ۳۴۵ ، ۳۴۹ ، ۳۵۱ ، ۳۷۶ ، ۳۷۹ ، ولاحظ ۱۰۱: ۸ ، ۲۱۱ ، ۲۱۲ ، ۲۱۳ ، ۲۹۳ ، ۲۹۷ ، ۲۹۸ ، ۲۹۹ ، ۳۷۲ ، ۳۷۴ ، ولاحظ ۱۰۲: ۳۱ ، ۳۲ ، ۳۳ ، ۳۵ ، ۳۶ ، ۴۴ ، ۴۷ ، ۷۱ ، ۱۷۱ ، ۱۸۱ ، ۱۸۳ ، إلى غير ذلك من الموارد . وعقد أحمد بن محمد بن خالد البرقى باباً للشفاعة فى موسوعته «المحاسن» فلاحظ ۱: ۱۸۴ .

(۶۷) (۶۸) أحاديث الشفاعة عند أهل السنّة:(۱)

۱ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «لكلّ نبى دعوة مستجابة فتعجّل كل نبى دعوته وأنّى اختبأت دعوتى شفاعة لأُمّتى وهى نائلة من مات منهم لا يشرك بالله شيئاً»(۲) . ۲ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «أُعطيت خمساً . . . وأُعطيت الشفاعة فادّخرتها لأُمّتى فهى لمن لا يشرك بالله شيئاً»(۳) . ۳ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «شفاعتى نائلة إن شاء الله من مات ولا يشرك بالله شيئاً»(۴) . ۴ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى تفسير قوله: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً): «هو المقام الذى أشفع لأُمّتى فيه»(۵) . ۵ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «أنا أوّل شافع وأوّل مشفّع»(۶) . ـــــــــ (۱) وقد عقد العلاّمة علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى (المتوفّى ۹۷۵ هـ) باباً خاصاً للشفاعة نقل فيه طائفة من الأخبار، فلاحظ كنز العمال ۴: ۶۳۸ ـ ۶۴۰ .

كما عقـد الشيـخ منصور على ناصف فى كتابه التاج الجامع للأَصول أبواباً للشـفاعة لاحظ التاج ۵: ۳۴۸ ـ ۳۶۰ وقد جاء فيها بأحاديث طوال قـد أخذنا موضع الحاجة منها . غير أنّ ملاحظة مجموع الأحاديث لا تخلو عن فائدة . وعقد النسائى فى سـننه أبواباً أربعة خاصـة للشفاعة لاحظ ۳: ۶۲۲ ط دار إحيـاء التراث الإسـلامى . (۲) سـنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۰ ، وبهذا المضـمون راجع مسـند أحمد ۱: ۲۸۱ ، وموطّأ مالك ۱: ۱۶۶ ، وسنن الترمذى ۵: ۲۳۸ ، وسنن الدارمى ۲: ۳۲۸ ، وصحيح مسلم ۱: ۱۳۰ ، وصحيح البخارى ۸: ۸۳ و ۹: ۱۷۰ . (۳) مسـند أحمد ۱: ۳۰۱ و ۴: ۴۱۶ و ۵: ۱۴۸ وبهذا المضـمون سنن النسائى ۱: ۱۷۲ ، وسـنن الدارمى ۱: ۳۲۳ و ۲: ۲۲۴ ، وصحيح البخارى ۱: ۹۲ و ۱۱۹ . (۴) مسند أحمد ۲: ۴۲۶ . (۵) مسند أحمد ۲: ۵۲۸ ، ۴۴۴ ، ۴۷۸ ; سنن الترمذى ۳: ۳۶۵ . (۶) سنن الترمذى ۵: ۴۴۸ ; سنن الدارمى ۱: ۲۶ و ۲۷ .

(۶۹)

۶ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ : «شفاعتى لمن شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه»(۱) . ۷ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «إنّ شـفاعتى يوم القيامة لأهل الكبائر من أُمّتى»(۲) . ۸ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «رأيت ما تلقى أُمّتى بعـدى (أى من الـذنوب) فسألت الله أن يولينى شـفاعة يوم القيامة فيهم ففعل »(۳) . ۹ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلاّ الله خالصاً من قلبه أو نفسه»(۴) . ۱۰ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «أنا أوّل شافع فى الجنة»(۵) . ۱۱ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «شفاعتى لكل مسلم»(۶) . ۱۲ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»(۷) . ۱۳ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «أنا سـيد ولدآدم وأوّل شافع وأوّل مشـفع ولا فخر»(۸). ـــــــــــــــــــــ (۱) مسند أحمد ۲: ۳۰۷ و ۵۱۸ . (۲) سنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۱ ;وبهذا المضمون مسند أحمد ۳: ۲۱۳ ، وسنن أبى داود ۲: ۵۳۷ ، وسنن الترمذى ۴: ۴۵ . (۳) مسند أحمد ۶: ۴۲۸ . (۴) صحيح البخارى ۱: ۳۶ . (۵) صحيح مسلم ۱: ۱۳۰ ; سنن الدارمى ۱: ۲۷ . (۶) سنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۴ . (۷) سنن الترمذى ۵: ۲۴۷ ; سنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۳ . (۸) سنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۰ ;وبهذا المضمون صحيح مسلم ۷: ۵۹ ، ومسند أحمد ۲: ۵۴۰ .

(۷۰)

۱۴ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «إنّى لأرجو أن أشـفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شـجرة ومدرة»(۱) . ۱۵ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «ليخرجنّ قوم من أُمّتى من النار بشـفاعتى يسمّون الجهنميين»(۲) . ۱۶ ـ قـال رسول الله ـ صلى الله عليـه وآله وسـلم ـ : «خُيّرت بين الشـفاعة وبين أن يـدخل نصـف أُمّتى الجنـة فـاخترت الشـفاعة لأنّهـا أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ؟ لا ، ولكنّها للمذنبين الخطّائين المتلوثين»(۳) . ۱۷ ـ وحكى أبو ذر: أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صلّى ليلة فقرأ آيـة حتى أصبح يركع بهـا ويسـجد بهـا: (إِنْ تُعَـذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُکَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَکِيمُ)(۴) فلمّا أصبح قلت: يا رسول الله مـا زلت تقرأ هـذه الآيـة حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها ، قال: «إنّى سألت ربّى عزّ وجلّ الشـفاعة لأُمّتى فأعطانيها فهى نائلـة إن شاء الله لمن لا يشـرك بالله عزّ وجلّ شـيئاً»(۵) . ۱۸ ـ قـال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «يشـفع النبيّون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتى»(۶) . ۱۹ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «إنّ الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة »(۷) . ۲۰ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ـــــــــــــــــــــ (۱) مسند أحمد ۵: ۳۴۷ . (۲) سنن الترمذى ۴: ۱۱۴ ; سنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۳ ;بهذا المضمون مسند أحمد ۴: ۴۳۴ ، وسنن أبى داود ۲: ۵۳۷ . (۳) سنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۱ . (۴) المائدة: ۱۱۸. (۵) مسند أحمد ۵: ۱۴۹ . (۶) صحيح البخارى ۹: ۱۶۰ ;وبهذا المضمون مسند أحمد ۳: ۹۴ . (۷) صحيح مسلم ۱: ۱۲۲ وبهذا المضمون صحيح البخارى ۸: ۱۴۳ .

(۷۱) ثم الشهداء»(۱) .

۲۱ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «فإذا فرغ الله عزّ وجلّ من القضاء بين خلقه وأخرج من النار من يريد أن يخرج ، أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع فيعرفون بعلاماتهم: إنّ النار تأكل كل شيء من ابن آدم إلاّ موضع السجود»(۲) . ۲۲ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « . . . فيؤذن للملائكة والنبيّين والشهداء أن يشفعوا فيشفعون ويخرجون من كان فى قلبه ما يزن ذرة من إيمان »(۳) . ۲۳ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إذا ميّز أهل الجنة وأهل النار ، فدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار قامت الرسل وشفعوا»(۴) . ۲۴ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «يشفع الأنبياء فى كل من يشهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً ، فيخرجونهم منها»(۵) . ۲۵ ـ ذكرت الشفاعة عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: «إنّ الناس يعرضون على جسر جهنم . . . وبجنبتيه الملائكة يقولون: اللّهمّ سلّم سلّم . . .»(۶) . ۲۶ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديث: «أمّا أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم نار بذنوبهم أو بخطاياهم فأماتتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فحماً أذن فى الشفاعة فيخرجون ضبائر ضبائر»(۷) . ــــــــــــــــ (۱) سنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۳ . (۲) سنن النسائى ۲: ۱۸۱ . (۳) مسند أحمد ۵: ۴۳ بتلخيص منّا . (۴) مسند أحمد ۳: ۳۲۵ . (۵) مسند أحمد ۳: ۱۲ . (۶) مسند أحمد ۳: ۲۶ . (۷) مسند أحمد ۳: ۷۹ ;وبهذا المضمون سنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۱ ، وسنن الدارمى ۲: ۳۳۲ ، ومسند أحمد ۳: ۵ .

(۷۲)

۲۷ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديث: « . . . فيشفعون حتى يخرج من قال لا ـ إله إلاّ ـ الله ممّن فى قلبه ميزان شعيرة»(۱) . ۲۸ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «يشفع الشهيد فى سبعين إنساناً من أهل بيته»(۲) . ۲۹ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «من تعلّم القرآن (من قرأ القرآن) فاستظهره فأحلّ حلاله وحرّم حرامه أدخله الله به الجنة وشفّعه فى عشرة من أهل بيته كلّهم قد وجبت له النار»(۳) . ۳۰ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديث: «إذا بلغ الرجل التسعين غفر الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وسمّى أسير الله فى الأرض ، وشفّع فى أهله»(۴) . ۳۱ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «ليدخلنّ الجنة بشفاعة رجل من أُمّتى أكثر من بنى تميم»(۵) . ۳۲ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّ من أُمّتى لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر»(۶) . ۳۳ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «ليدخلنّ الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيّين أو مثل أحد الحيّين ربيعة ومضر»(۷) . ۳۴ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّ الرجل من أُمّتى ليشفع للفئام من ــــــــــــــــ

(۱) مسند أحمد ۳: ۳۴۵ . (۲) سنن أبى داود ۲: ۱۵ ; وبهذا المضمون مسند أحمد ۴: ۱۳۱ ، وسنن الترمذى ۳ : ۱۰۶ . (۳) سنن الترمذى ۴: ۲۴۵ ; سنن ابن ماجة ۱: ۷۸ ; مسند أحمد ۱: ۱۴۸ و ۱۴۹ . (۴) مسند أحمد ۲: ۸۹ ، وبهذا المضمون ما فى ۳: ۲۱۸ . (۵) سنن الدارمى ۲: ۳۲۸ ; سنن الترمذى ۴: ۴۶ ; سنن ابن ماجة ۲: ۱۴۴۴ ; مسند أحمد ۳: ۴۷۰ و ۵: ۳۶۶ . (۶) مسند أحمد ۴: ۲۱۲ . (۷) مسند أحمد ۵: ۲۵۷ .

(۷۳) الناس فيدخلون الجنة ، وإنّ الرجل ليشفع للقبيلة ، وإنّ الرجل ليشفع للعصبة ، وإنّ الرجل ليشفع للثلاثة ، وللرجلين ، وللرجل»(۱) .

۳۵ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «يصف الناس (أهل الجنة) صفوفاً: فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استقيت فسقيتك شربة ؟ قال: فيشفع له ، ويمرّ الرجل فيقول: أما تذكر يوم ناولتك طهوراً ؟ فيشفع له»(۲) . ۳۶ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديث: «لا يصبر على لأوائها (أى المدينة) وشدتها إلاّ كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة »(۳) . ۳۷ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لخادمه: «ما حاجتك ؟ قال: حاجتى أن تشفع لى يوم القيامة ، قال: ومن دلّك على هذا ؟ قال: ربى ، قال: أما فأعنّى بكثرة السجود»(۴) . ۳۸ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «من صلّى على محمد وقال: اللّهمّ أنزله المقعد المقرّب عندك يوم القيامة ، وجبت له شفاعتى »(۵) . ۳۹ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «من قال حين يسمع النداء: «اللّهمّ ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى

وعدته» حلّت له شفاعتي يوم القيامة»(۶) . ـــــــــــــــــــــــــ (۱) مسند أحمد ۳: ۲۰ و ۶۳ ; سنن الترمذي ۴: ۴۶ . (۲) سنن ابن ماجة ۲: ۱۲۱۵ . (۳) موطأ مالك ۲: ۲۰۱ ; مسند أحمد ۲: ۱۱۹ و ۱۳۳ ومواضع أُخر من هذا الكتاب . (۴) مسند أحمد ۳: ۵۰۰ ، وبهذا المضمون ما في ۴: ۵۹ . (۵) مسند أحمد ۴: ۱۰۸ . (۶) صحيح البخاري ۱: ۱۵۹ ; وبهذا المضمون ما في مسند أحمد ۳: ۳۵۴ ، وسنن ابن ماجة ۱: ۲۳۹ ، وسنن الترمذي ۱: ۱۳۶ ، وسنن النسائي ۲: ۲۲ ، وسنن أبي داود ۱: ۱۲۶ .

(۷۴)

۴۰ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلّوا عليّ ;فإنّه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه عشراً ، ثم سلوا الله عزّ وجلّ لي الوسيلة ;فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة»(۱) . ۴۱ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «من غشّ العرب ، لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودّتي»(۲) . ۴۲ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّ اللعّانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة»(۳) . ۴۳ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «تعلّموا القرآن ;فإنّه شافع لأصحابه يوم القيامة»(۴) . ۴۴ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّ سورة من القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي: تبارك الذي بيده الملك»(۵) . ۴۵ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام: أي ربّي منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفّعني فيه ، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفّعني فيه ، قال: فيشفعان»(۶) . ۴۶ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إن أقربكم منّي غداً وأوجبكم عليّ شفاعة: أصدقكم لساناً وأدّاكم لأمانتكم ، وأحسنكم خلقاً ، وأقربكم من ـــــــــــــــــــــــــ (۱) سنن أبي داود ۱: ۱۲۴ ; صحيح مسلم ۲: ۴ ; سنن الترمذي ۵: ۲۴۶ و ۲۴۷; سنن النسائي ۲: ۲۲ ; ومسند أحمد ۲: ۱۶۸ . (۲) مسند أحمد ۱: ۷۲ . ولا يتوهم أنّ هذا الحديث تكريس للقومية المبغوضة في الإسلام ;لأنّ من المعلوم أنّ المراد من العرب المسلمين فيكون بمنزلة «من غشّ مسلماً فليس بمسلم» لأنّ المسلم يوم ذاك كان منحصراً في العرب . (۳) مسند أحمد ۶: ۴۴۸ ; صحيح مسلم ۸: ۲۴ . (۴) مسند أحمد ۵: ۲۵۱ . (۵) مسند أحمد ۲: ۱۹۹ و ۳۲۱ ; سنن الترمذي ۴: ۲۳۸ . (۶) مسند أحمد ۲: ۱۷۴ .

(۷۵) الناس»(۱) .

۴۷ ـ روى أنس بن مالك عن أبيه قال: سألت النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: «أنا فاعل» ، قلت: يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال: «اطلبني أوّل ما تطلبني على الصراط» ، قلت: فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال: «فاطلبني عند الميزان» ، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال: «فاطلبني عند الحوض فإنّي لا أخطا هذه الثلاث المواطن»(۲) . ۴۸ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في حديث: «أنا سيد الناس يوم القيامة . . . ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفّع ، فأرفع رأسي فأقول: يا ربّي أُمّتي يا ربّي أُمّتي ، فيقول: يا محمد أدخل من أُمّتك من لا ـ حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة»(۳) . ۴۹ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «أنا أوّل الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»(۴) . ۵۰ ـ أخرج ابن مردويه عن طلق بن حبيب: كنت أشد الناس تكذيباً بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار ، فقال: يا طلق أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم لسنّة رسول الله منّي ؟ إنّ الذين قرأت هم أهلها هم المشركون ، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً فعذّبوا ثم أخرجوا منها ثم أهوى بيديه إلى أُذنيه ، فقال: صمّتا إن لم أكن ـــــــــــــــــــــــــ (۱) تيسير المطالب في أمالي الإمام علي بن أبي طالب ، تأليف السيد يحيى بن الحسين من أحفاد الإمام زيد (المتوفّى ۴۲۴ هـ) ، ص ۴۴۲ ـ ۴۴۳ . (۲) سنن الترمذي ج ۴ الباب التاسع ، الحديث ۲۵۵۰ . (۳) سنن الترمذي ج ۴ الباب العاشر ، الحديث ۲۵۵۱ . (۴) صحيح مسلم ۱: ۱۳۰ .

(۷۶)

سمعت رسول الله يقول: يخرجون من النار بعدما دخلوا ، ونحن نقرأ كما قرأت . وعن ابن أبي حاتم عن يزيد الفقير ، قال: جلست إلى

جابر بن عبـد الله وهو يحـدّث ، فحـدّث أنّ ناساً يخرجون من النار ، قال: وأنا يومئـذ أنكر ذلك ، فغضـبت وقلت: ما أعجب من الناس ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد تزعمون أنّ الله يخرج ناساً من النار والله يقول: (يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا)(۱) فـانتهرنى أصحابه وكـان أحلمهم ، فقـال: دعوا الرجـل إنّما ذلك للكفّار ، فقرأ: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِى الاْرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) حتى بلغ (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ)(۲) أمـا تقرأ القرآن ؟ قلت: بلى قـد جمعته ، قال: أليس الله يقول: (وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)(۳) فهو ذلـك المقـام فإنّ الله تعالى يحتبس أقواماً بخطاياهم فى النار ما شاء لا يكلّمهم فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم قال : فلم أعد بعد ذلك إلى أن أكذب به . . .(۴) . * * * هـذه خمسون حـديثاً رواهـا أهل السـنّة عن النبى الأعظم ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ ولو أضـفنا إليها الصور المختلفـة لكل حـديث لتجاوز عـدد الأحاديث المائـة حـديث ، ولكن اكتفينا بهـذا المقدار وأشـرنا إلى المواضع التى نقلت فيها صورها المختلفة والناظر فيها يـذعن بـأنّ الاعتقـاد بالشـفاعة كـان أمراً مسـلّماً بيـن جمـاهير المسـلمين كمـا يـذعن بأنّهـا لـم تكـن عنـدهم مطلقـة عـن كـل قيـد ، ـــــــــــــــ (۱) المائدة : ۳۷ . (۲) المائدة : ۳۶ ـ ۳۷ . (۳) الإسراء : ۷۹ . (۴) تفسير ابن كثير ۲: ۵۴ كما فى حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوى۳: ۴۷۱ ـ ۴۷۲ .

(۷۷)

بـل لهـا شـرائط خصوصاً فى جانب المشـفوع له ، وأنّ هناك شـفعاء وسنشـير فى خاتمـة المطاف إلى فذلكـة الروايات وعصارتها فى المواضع المختلفـة . هلمّ معى نقرأ ما روته الإماميـة فى هـذا الباب من الأحاديث الكثيرة عن النبى الأكرم والأئمة المعصومين ، ولأجل سهولة الإرجاع إليها نحافظ على التسلسل المذكور فى الأحاديث السابقة . أحاديث الشفاعة عند الشيعة الإمامية

۵۱ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّى لأشفع يوم القيامة وأُشفّع ، ويشفع علىٌّ فيُشفّع ، ويشفع أهل بيتى فيشفّعون»(۱) . ۵۲ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «أُعطيت خمساً . . . أُعطيت الشـفاعة»(۲) . ۵۳ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّ الله أعطانى مسألة فادّخرت مسألتى لشفاعة المؤمنين من أُمّتى يوم القيامة ففعل ذلك»(۳) . ۵۴ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «إنّ من أُمتى من سـيدخل الله الجنة بشفاعته أكثر من مضر»(۴) . ۵۵ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّمـا شـفاعتى لأهل الكبائر من أُمّتى »(۵) . ۵۶ ـ قـال رسـول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «الشـفعاء خمسـة: القرآن ، والرحم ، ـــــــــــــــ (۱) مناقب ابن شهر آشوب ۲: ۱۵ ;وبهذا المضمون فى مجمع البيان ۱: ۱۰۴ . (۲) من لا يحضره الفقيه ۱: ۱۵۵ . (۳) أمالى الطوسى: ص ۳۶ . (۴) مجمع البيان ۱۰: ۳۹۲ . (۵) من لا يحضره الفقيه ۳: ۳۷۶ .

(۷۸) والأمانة ، ونبيكم ، وأهل بيت نبيكم»(۱) .

۵۷ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «يقول الرجل من أهل الجنة يوم القيامة : أى ربّى عبدك فلان سـقانى شربة من ماء فى الدنيا ، فشفّعنى فيه فيقول: اذهب فأخرجه من النار فيذهب فيتجسس فى النار حتى يخرجه منها»(۲) . ۵۸ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «ادّخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أُمّتى»(۳) . ۵۹ ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشـفع فى أربعين من إخوانه»(۴) . ۶۰ ـ قال رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «أيّما امرأة صـلّت فى اليوم والليلة خمس صلوات ، وصـامت شـهر رمضان ، وحجّت بيت الله الحرام ، وزكّت مالها ، وأطاعت زوجها ، ووالت علياً بعـدى دخلت الجنة بشـفاعة بنتى فاطمة»(۵) . أحاديث الشفاعة عن الإمام علىّ ـ عليه السلام ـ :

۶۱ ـ قال على ـ عليه السـلام ـ : «لنا شـفاعة ولأهل مودّتنا شفاعة»(۶) . ۶۲ ـ قال على ـ عليه السـلام ـ : «ثلاثة يشـفعون إلى الله عزّ وجلّ فيشـفّعون: الأنبياء ، ثم العلماء، ثم الشهداء»(۷) . ۶۳ ـ قال على ـ عليه السـلام ـ لولـده محمـد الحنفية: «اقبل من متنصّل عذره ، فتنالك الشفاعة»(۸) . ـــــــــــــــ (۱) مناقب ابن شـهر آشوب ۲: ۱۴ . (۲) مجمع البيان ۱۰: ۳۹۲ . (۳) مجمع البيان ۱: ۱۰۴ ، ويقول الطبرسى: إنّ هذا الحديث ممّا قبلته الأُمّة الإسلامية . (۴) مجمع البيان ۱: ۱۰۴ . (۵) أمالى الصدوق: ص ۲۹۱ . (۶) خصال الصدوق:

ص ۶۲۴ . (۷) خصال الصدوق: ص ۱۵۶ . (۸) من لا یحضره الفقیه ۴: ۲۷۹ .

(۷۹)

۶۴ ـ قال علی ـ علیه السلام ـ : «اعلموا أنّ القرآن شافع ومشفّع ، وقائل ومصدّق ، وأنّه من شفّع له القرآن یوم القیامهٔ شفّع فیه»(۱) . ۶۵ ـ قال علی ـ علیه السلام ـ : «قال رسول الله ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ : إذا قمت المقام المحمود تشفّعت فی أصحاب الکبائر من أُمّتی فیشفّعنی الله فیهم ، والله لا تشفّعت فیمن آذی ذرّیتی»(۲) . ۶۶ ـ قال أمیر المؤمنین ـ علیه السلام ـ : «إنّ للجنهٔ ثمانیهٔ أبواب باب یدخل منه النبیون والصدّیقون ، وباب یدخل منه الشهداء والصالحون ، وخمسهٔ أبواب یدخل منها شیعتنا ومحبّونا فلم أزل واقفاً علی الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شیعتی ومحبّی وأنصاری ومن تولاّنی فی دار الدنیا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أُجیبت دعوتک وشفّعت فی شیعتک ، ویشفع کل رجل من شیعتی ومن تولاّنی ونصرنی وحارب من حاربنی بفعل أو قول فی سبعین ألفاً من جیرانه وأقربائه ، وباب یدخل منه سائر المسلمین ممّن یشهد أن لا إله إلاّ الله ولم یکن فی قلبه مقدار ذرّهٔ من بغضنا أهل البیت»(۳) . ۶۷ ـ قال أمیر المؤمنین ـ علیه السلام ـ : «سمعت النبی یقول: إذا حشر الناس یوم القیامهٔ نادانی مناد: یا رسول الله إنّ الله جلّ اسمه قد أمکنک من مجازاهٔ محبیک ومحبّی أهل بیتک الموالین لهم فیک والمعادین لهم فیک فکافهم بما شئت فأقول: یا ربّ الجنهٔ فأبوِّئُهم منها حیث شئت ، فذلک المقام المحمود الذی وعدت به»(۴) . ـــــــــــــــــ (۱) نهج البلاغهٔ : الخطبهٔ ۱۷۱ . (۲) أمالی الصدوق: ص ۱۷۷ . (۳) بحار الأنوار ۸: ۳۹ نقلا عن أمالی الصدوق: ص ۳۹ . (۴) بحار الأنوار ۸: ۳۹ ـ ۴۰ نقلا عن أمالی الصدوق: ص ۱۸۷ .

(۸۰)

۶۸ ـ عن علی بن أبی طالب ـ علیه السلام ـ قال: «قالت فاطمهٔ ـ علیها السلام ـ لرسول الله ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ : یا أبتاه أین ألقاک یوم الموقف الأعظم ویوم الأهوال ویوم الفزع الأکبر ؟ قال: یا فاطمهٔ عند باب الجنهٔ ومعی لواء الحمد وأنا الشفیع لأُمّتی إلی ربّی . قالت: یا أبتاه فإن لم ألقک هناک ؟ قال: ألقینی علی الحوض وأنا أسقی أُمّتی ، قالت: یا أبتاه إن لم ألقک هناک ؟ قال: ألقینی علی الصراط وأنا قائم أقول: ربّ سلّم أُمّتی ، قالت: فإن لم ألقک هناک ؟ قال: ألقینی وأنا عند المیزان ، أقول: ربّی سلّم أُمّتی ، قالت: فإن لم ألقک هناک ؟ قال: ألقینی علی شفیر جهنّم أمنع شررها ولهبها عن اُمتی فاستبشرت فاطمهٔ بذلک ، صلّی الله علیها وعلی أبیها وبعلها وبنیها»(۱) . أحادیث الشفاعهٔ عن سائر أئمهٔ أهل البیت ـ علیهم السلام ـ :

۶۹ ـ قال الحسن ـ علیه السلام ـ : «إنّ النبی قال فی جواب نفر من الیهود سألوه عن مسائل: وأمّا شفاعتی ففی أصحاب الکبائر ما خلا أهل الشرک والظلم»(۲) . ۷۰ ـ عن الحسین ـ علیه السلام ـ وهو ینقل کلام جده معه فی منامه قائلا: « حبیبی یا حسین کأنّی أراک عن قریب مرمّلا بدمائک مذبوحاً بأرض کربلا علی أیدی عصابهٔ من أُمّتی وأنت مع ذلک عطشان لا تسقی ، وظمآن لا تروی ، وهم مع ذلک یرجون شفاعتی ، لا أنالهم الله شفاعتی یوم القیامهٔ»(۳) . ۷۱ ـ قال علی بن الحسین ـ علیهما السلام ـ فی الدعاء الثانی من صحیفته: « عرّفه فی أهله الطاهرین ، وأُمّته المؤمنین من حسن الشفاعهٔ ، أجل ما وعدته»(۴) . ـــــــــــــــــ (۱) بحار الأنوار ۸: ۳۵ نقلا عن أمالی الصدوق: ص ۱۶۶ . (۲) خصال الصدوق: ص ۳۵۵ . (۳) مکاتیب الأئمهٔ ۲: ۴۱ . (۴) الصحیفهٔ السجادیهٔ ، الدعاء الثانی .

(۸۱)

۷۲ ـ قال علی بن الحسین ـ علیهما السلام ـ : «اللّهمّ صلّ علی محمد وآل محمد وشرّف بنیانه وعظّم برهانه ، وثقّل میزانه ، وتقبّل شفاعته»(۱) . ۷۳ ـ قال علی بن الحسین ـ علیهما السلام ـ : «فإنّی لم آتک ثقهٔ منّی بعمل صالح قدمته: ولا شفاعهٔ مخلوق رجوته إلاّ شفاعهٔ محمد وأهل بیته علیه وعلیهم سلامک»(۲) . ۷۴ ـ قال علی بن الحسین ـ علیهما السلام ـ : «إلهی لیس لی وسیلهٔ إلیک إلاّ عواطف رأفتک ، ولا ذریعهٔ إلیک إلاّ عوارف رحمتک ، وشفاعهٔ نبیک نبی الأُمّهٔ»(۳) . ۷۵ ـ قال علی بن الحسین ـ علیهما السلام ـ : «صلّ علی محمد وآله واجعل توسلی به شافعاً یوم القیامهٔ نافعاً إنّک أنت أرحم الراحمین »(۴) . ۷۶ ـ قال محمد بن علی الباقر ـ

علیهما السلام ـ : «إنّ لرسول الله ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ شفاعهٔ فی أمّته»(۵) . ۷۷ ـ قال محمد بن علی الباقر ـ علیهما السلام ـ : «من تبع جنازهٔ مسلم أُعطی یوم القیامهٔ أربع شفاعات»(۶) . ۷۸ ـ قال محمد بن علی الباقر ـ علیهما السلام ـ : «یشفع الرجل فی القبیلهٔ ، ویشفع الرجل لأهل البیت ، ویشفع الرجل للرجلین علی قدر عمله ، فذلک ـــــــــــــــــــ (۱) الصحیفهٔ السجادیهٔ ، الدعاء الثانی والأربعون . (۲) الصحیفهٔ السجادیهٔ: الدعاء الثامن والأربعون . (۳) ملحقات الصحیفهٔ: ص ۲۵۰ . (۴) ملحقات الصحیفهٔ: ص ۲۲۹ . (۵) المحاسن للبرقی: ص ۱۸۴ . (۶) التهذیب ۱: ۴۵۵ .

(۸۲) المقام المحمود»(۱).

۷۹ ـ قال محمد بن علی الباقر ـ علیهما السلام ـ : «إنّ أدنی المؤمنین شفاعهٔ لیشفع لثلاثین إنساناً ، فعند ذلک یقول أهل النار: فما لنا من شافعین ، ولا صدیق حمیم»(۲) . ۸۰ ـ سئل محمد بن علی الباقر ـ علیهما السلام ـ عن أرجی آیهٔ فی کتاب الله ؟ فقال الإمام للسائل(بشربن شریح البصری):«مایقول فیهاقومک»؟قال:قلت: یقولون: (قُلْ یَا عِبَادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلَی أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِٔ اللهِ) ، قال: «لکنّا أهل البیت لا نقول بذلک» ، قال السائل: قلت: فأیّ شیء تقولون فیها ؟ قال: «نقول: (وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی) الشفاعهٔ، والله الشفاعهٔ، والله الشفاعهٔ»(۳). ۸۱ ـ دخل مولی لامرأهٔ علیّ بن الحسین ـ علیهما السلام ـ علی أبی جعفر (الباقر) یقال له أبو أیمن فقال: یغرون الناس فیقولون شفاعهٔ محمد ، قال : فغضب أبو جعفر حتی تربد وجهه ، ثم قال: «ویحک یا أبا أیمن أغرّک أن عفّ بطنک وفرجک ، أما والله لو قد رأیت أفزاع یوم القیامهٔ لقد احتجت إلی شفاعهٔ محمد ، ویلک وهل یشفع إلّا لمن قد وجبت له النار »(۴) . ۸۲ ـ عن محمد بن مسلم قال: سمعت أباجعفر ـ علیه السلام ـ یقول: «لفاطمهٔ وقفهٔ علی باب جهنم فإذا کان یوم القیامهٔ کتب بین عینی کل رجل مؤمن أو کافر فیؤمر بمحب قد کثرت ذنوبه إلی النار ، فتقرأ بین عینیه محباً ، فتقول: إلهی وسیدی سمّیتنی فاطمهٔ وفطمت بی من تولّانی وتولّی ذریتی من النار ووعدک ـــــــــــــــــــ (۱) مناقب ابن شهر آشوب ۲: ۱۴ . (۲) الکافی ۸: ۱۰۱ ، وبهذا المضمون فی تفسیر فرات الکوفی: ص ۱۰۸ . (۳) تفسیر فرات الکوفی: ص ۱۸ . (۴) المحاسن ۱: ۱۸۳ .

(۸۳) الحق وأنت لا ـ تخلف المیعاد ، فیقول الله عزّ وجلّ: صدقت یا فاطمهٔ إنّی سمّیتک فاطمهٔ وفطمت بک من أحبک وتولّاک وأحب ذریتک وتولّاهم من النار ووعدی الحق ، وأنا لا أخلف المیعاد وإنّما أمرت بعبدی هذا إلی النار لتشفعی فیه فأُشفّعک لیتبیّن لملائکتی وأنبیائی ورسلی وأهل الموقف موقفک منّی ومکانتک عندی فمن قرأت بین عینیه مؤمناً فجذبت بیده وأدخلته الجنهٔ»(۱) . ۸۳ ـ قال جعفر بن محمد ـ علیهما السلام ـ : «والله لنشفعنّ لشیعتنا ، والله لنشفعنّ لشیعتنا ، والله لنشفعنّ لشیعتنا حتی یقول الناس فما لنا من شافعین ولا صدیق حمیم»(۲) . ۸۴ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ علیهما السلام ـ : «لکل مؤمن خمس ساعات یوم القیامهٔ یشفع فیها»(۳) . ۸۵ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ علیهما السلام ـ : «شفاعتنا لأهل الکبائر من شیعتنا ، وأمّا التائبون فإنّ الله عزّ وجلّ یقول: ما علی المحسنین من سبیل»(۴) . ۸۶ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ علیهما السلام ـ : «من أنکر ثلاثهٔ أشیاء فلیس من شیعتنا: المعراج ، والمساءلهٔ فی القبر ، والشفاعهٔ»(۵) . ۸۷ ـ قال معاویهٔ بن عمار لجعفر بن محمد الصادق ـ علیهما السلام ـ : «من ذا الذی یشفع عنده إلّا بإذنه ؟ قال: «نحن أُولئک الشافعون»(۶) . ـــــــــــــــــــ (۱) بحار الأنوار ۸: ۵۱ نقلا عن علل الشرائع: ص ۱۷۸ . (۲) مناقب ابن شهر آشوب ۲: ۱۶۴ . (۳) صفات الشیعهٔ : ص ۳۶ . (۴) من لا یحضره الفقیه ۳: ۳۷۶ . (۵) الأمالی للشیخ الصدوق: ص ۱۷۷ . (۶) تفسیر العیاشی ۱: ۱۳۶ ، وبهذا المضمون فی المحاسن : ص ۱۸۳ .

(۸۴)

۸۸ ـ سئل جعفر بن محمد الصادق ـ علیهما السلام ـ عن المؤمن هل یشفع فی أهله ؟ قال: «نعم المؤمن یشفع فیشفّع»(۱) . ۸۹ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ علیهما السلام ـ : «إذا کان یوم القیامهٔ نشفع فی المذنب من شیعتنا وأمّا المحسنون فقد نجّاهم الله »(۲) . ۹۰ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ علیهما السلام ـ : «نمجّد ربنا ونصلّی علی نبیّنا ونشفع لشیعتنا فلا یردنا ربّنا»(۳) . ۹۱ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ علیهما السلام ـ : «إنّ المؤمن لیشفع لحمیمه ، إلّا أن یکون ناصباً ، ولو أنّ ناصباً شفع له کل نبی مرسل وملک مقرّب

ما شفعوا»(۴) . ۹۲ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ : «إنّ الجار ليشفع لجاره والحميم لحميمه ، ولو أنّ الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين شَفّعوا فى ناصب ما شُفّعوا»(۵) . ۹۳ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ : «إنّ المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفّع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول ـ فيرفع سبابتيه ـ يا رب خويدمى كان يقينى الحر والبرد ، فيشفّع فيه»(۶) . ۹۴ ـ كتب جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ إلى أصحابه: «واعلموا أنّه ليس يغنى عنهم من الله أحد من خلقه شيئاً ، لا ـ ملك مقرّب ولا نبىّ مرسل ولا من دون ذلك، فمن سرّه أن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضى ـــــــــــــــــــــ

(۱) المحاسن : ص ۱۸۴ . (۲) فضائل الشيعة للشيخ الصدوق: ص ۱۰۹ ح ۴۵ . (۳) المحاسن : ص ۱۸۳ ، وبهذا المضمون فى البحار ۸: ۴۱ عن الإمام الكاظم . (۴) ثواب الأعمال : ص ۲۵۱ . (۵) المحاسن : ص ۱۸۴ . (۶) بحار الأنوار ۸: ۵۶ و ۶۱ نقلا عن الاختصاص للمفيد وتفسير العياشى بتفاوت يسير .

(۸۵) عنه»(۱) .

۹۵ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ : «إذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد ، فإذا وقفا بين يدى الله عزّ وجلّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنة ، وقيل للعالم: قف تشفّع للناس بحسن تأديبك لهم »(۲) . ۹۶ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ فى تفسير قوله سبحانه: « (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً) «لا يشفّع ولا يشفّع لهم ولا يشفعون إلّا من أذن له بولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده فهو العهد عند الله»(۳) . ۹۷ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ : «يا معشر الشيعة فلا تعودون وتتّكلون على شفاعتنا ، فو الله لا ينال شفاعتنا إذا ركب هذا (الزنا) حتى يصيبه ألم العذاب ويرى هول جهنم»(۴) . ۹۸ ـ سئل جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ عن المؤمن هل له شفاعة ؟ قال: «نعم» ، فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد ؟ قال: «نعم ، إنّ للمؤمنين خطايا وذنوباً وما من أحد إلّا يحتاج إلى شفاعة محمد يومئذ»(۵) . ۹۹ ـ قال جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ أو محمد بن على الباقر ـ عليهما السلام ـ فى تفسير قوله: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)قال: «هى ـــــــــــــــــــــ

(۱) الكافى ۸: ۱۱ . (۲) بحار الأنوار ۸: ۵۶ نقلا ـ عن عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق . (۳) تفسير على بن ابراهيم القمى ص ۴۱۷، ونقل عن الإمام الباقر أيضاً كما فى البحار ۸: ۳۷ . (۴) الكافى ۵: ۴۶۹ ; من لا يحضره الفقيه ۴: ۲۸ . (۵) تفسيرالعياشى المعاصر للشيخ الكلينى۲: ۳۱۴، وفى المحاسن۱: ۱۸۴ ومع زيادات فى بحار الأنوار ۸: ۴۸.

(۸۶) الشفاعة»(۱) .

۱۰۰ ـ عن سماعة عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ قال: سألته عن شفاعة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوم القيامة ؟ قال: «يلجم الناس يوم القيامة العرق ويقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربّه ، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربّك فيقول: إنّ لى ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح ، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى من يليه، وكلّ نبى يردّهم إلى من يليه حتى ينتهون إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمد رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى جميع الأنبياء ـ فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: انطلقوا ، فينطلق بهم إلى باب الجنة ويستقبل باب الرحمن ويخرّ ساجداً فيمكث ما شاء الله ، فيقول عزّ وجلّ: ارفع رأسك واشفع تشفّع وسل تعط وذلك قوله: (عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً)»(۲) . ۱۰۱ ـ عن عيسى بن القاسم، عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ : «إنّ أُناساً من بنى هاشم أتوا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشى وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذى جعله للعاملين عليها فنحن أولى به ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : يا بنى عبد المطلب إنّ الصدقة لا تحل لى ولا لكم ولكنّى وُعدت الشفاعة ثم قال: والله أشهد أنّه قد وعدها فما ظنّكم يا بنى عبد المطلب إذا أخذت بحلقة الباب أترونى مؤثراً عليكم غيركم ، ثم قال : إنّ الجن والإنس يجلسون يوم القيامة فى صعيد واحد فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فيقولون: إلى من ؟ فيأتون نوحاً فيسألونه الشفاعة ، فقال: هيهات قد رفعت حاجتى ، فيقولون إلى من ؟ فيقال: إلى إبراهيم . . .»(۳) . ـــــــــــــــــــــ

(۱) تفسير العياشى ۲: ۳۱۴ . (۲) بحار الأنوار ۸: ۳۵ ـ ۳۶ نقلا عن تفسير على بن إبراهيم: ص ۳۸۷ . الذنب الذى ورد فى الحديث بمعنى ما يتبع الإنسان لا بمعنى

المعصية ، وعلى كل حال فحسنات الأبرار سيئات المقرّبين . (۳) بحار الأنوار ۸: ۴۷ ـ ۴۸ وذيل الحديث موافق لما تقدمه ولأجل ذلك تركناه .

(۸۷)

۱۰۲ ـ عن سماعة، عن أبى إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى قول الله تعالى: (عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً) قال: «يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاماً ويؤمر الشمس فيركب على رؤوس العباد ويلجمهم العرق ، ويؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئاً ، فيأتون آدم فيتشفّعون منه فيدلّهم على نوح ، ويدلّهم نوح على إبراهيم، ويدلّهم إبراهيم على موسى، ويدلّهم موسى على عيسى، ويدلّهم عيسى فيقول: عليكم بمحمد خاتم البشر ، فيقول محمد: أنا لها ، فينطلق حتى يأتى باب الجنة فيدقّ فيقال له : من هذا ـ والله أعلم ـ فيقول: محمد ! فيقال: افتحوا له ، فإذا فتح الباب استقبل ربه فيخر ساجداً فلايرفع رأسه حتى يقال له: تكلّموسل تعط واشفع تشفّع ، فيرفع رأسه فيستقبل ربّه فيخر ساجداً فيقال له مثلها فيرفع رأسه حتى أنّه ليشفع من قد أُحترق بالنار ، فما أحد من الناس يوم القيامة فى جميع الأُمم أوجه من محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو قول الله تعالى: (عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً)»(۱) . ۱۰۳ ـ قال موسى بن جعفر الكاظم ـ عليهما السلام ـ : «لمّا حضر أبى (جعفر بن محمد) الوفاة قال لى: يا بنى إنّه لا ينال شفاعتنا من استخفّ بالصلاة»(۲) . ۱۰۴ ـ قال موسى بن جعفر الكاظم ـ عليهما السلام ـ : «كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: لا تستخفوا بفقراء شيعة على ؛فإنّ الرجل منهم ليشفع بعدد ربيعة ومضر»(۳) . ـــــــــــــــــــــ (۱) بحار الأنوار ۸: ۴۸ ـ ۴۹ نقلا عن تفسير العياشى ، والمراد من «استقبل ربه»: استقبل رضوانه أو باب رحمته أو ما يناسب ذلك كما ورد فى الحديث المروى عن الإمام الصادق . (۲) الكافى ۳: ۲۷۰ و ۶: ۴۰۱ ; التهذيب ۹: ۱۰۷ ;بهذا المضمون فى من لا يحضره الفقيه ۱: ۱۳۳ ، ونقله الشيخ فى التهذيب ۹: ۱۰۶ عن الإمام الصادق . (۳) بحار الأنوار ۸: ۵۹ ; وبهذا المضمون فى أمالى الشيخ الطوسى: ص ۶۳ ، وبشارة المصطفى: ص ۵۵ .

(۸۸)

۱۰۵ ـ قال موسى بن جعفر الكاظم ـ عليهما السلام ـ : «شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجّون البيت الحرام ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت ويتبرأون من أعدائهم ، وإنّ أحدهم ليشفع فى مثل ربيعة ومضر فيشفّعه الله فيهم لكرامته على الله عزّ وجلّ»(۱) . ۱۰۶ ـ قال على بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ ناقلا عن على ـ عليه السلام ـ : «من كذّب بشفاعة رسول الله لم تنله»(۲) . ۱۰۷ ـ قال على بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ : «مذنبو أهل التوحيد لا يخلّدون فى النار ويخرجون منها والشفاعة جائزة لهم»(۳) . ۱۰۸ ـ قال على بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ ناقلا عن آبائه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريّتى ، والقاضى لهم حوائجهم ، والساعى فى أُمورهم عندما اضطرّوا إليه ، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه»(۴) . ۱۰۹ ـ قال على بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ ، ناقلا عن آبائه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «من لم يؤمن بشفاعتى فلا أناله شفاعتى، ثم قال ـ عليه السلام ـ : إنّما شفاعتى لأهل الكبائر من أُمتى فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل» ، قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا ـ عليه السلام ـ : يا بن رسول الله فما معنى قول الله عزّ وجلّ: (ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى)؟ قال: «لا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله دينه»(۵) . ۱۱۰ ـ قال على بن محمد الهادى ـ عليهما السلام ـ كما فى الزيارة الجامعة: ـــــــــــــــــــــ (۱) صفات الشيعة : ص ۱۶۴ ، الحديث الخامس . (۲) عيون أخبار الرضا ۲: ۶۶ . (۳) عيون أخبار الرضا ۲: ۱۲۵ . (۴) عيون أخبار الرضا ۲: ۲۴ ، وباختصار يسير فى بشارة المصطفى: ص ۱۴۰ . (۵) أمالى الصدوق: ص ۵ .

(۸۹) « ولكم المودّة الواجبة والدرجات الرفيعة والمقام المحمود ، والمقام المعلوم عند الله عزّ وجلّ والجاه العظيم ، والشأن الكبير والشفاعة المقبولة»(۱) .

۱۱۱ ـ قال الحسن بن على العسكرى ـ عليهما السلام ـ ناقلا عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فى ضمن حديث: «لا يزال المؤمن يشفع حتى يشفع فى جيرانه وخلطائه ومعارفه»(۲) . ۱۱۲ ـ قال الحجة بن الحسن ـ عليهما السلام ـ فى الصلوات المنقولة عنه: « اللّهمّ صلّ

على سيد المرسلين وخاتم النبيين وحجة ربّ العالمين ، المرتجى للشفاعة»(۳) . هـذه هى الأحاديث الواردة عن طرق الشيعة الإمامية وأنت إذا أضفتها إلى ما رواه أصحاب الصحاح والمسانيد ، يتجلّى لك موقف الشفاعة فى الشريعة الإسلامية وانها من الأُمور الثابتة والقطعية كما يتجلّى لك معناها إلى غير ذلك من الخصوصيات التى مرّ بيان الخلاف فيها . ثم بقيت فى المقام روايات مبعثرة فى الكتب والصحاح والمسانيد ، يستلزم جمعها إفراد رسالة فى المقام، ولأجل ذلك اكتفينا بما ذكرناه . ــــــــــــــــــ(۱) من لا يحضره الفقيه ۲: ۶۱۶ . (۲) بحار الأنوار ۸: ۴۴ . (۳) مصباح المتهجّد : ص ۲۸۴ .

(۹۰)

خاتمة المطاف:

خاتمة المطاف: بحث وتمحيص حول الروايات الواردة فى الشفاعة

قد وقفت على النصوص والروايات التى نقلناها من الصحاح والمسانيد لأهل السنّة والمجاميع الحديثية للشيعة الإمامية والواجب هنا هو الوقوف على مضمون هذه الروايات على وجه الاختصار وإليك ما تدلّ عليه تلك المأثورات: ۱ ـ يستفاد من الروايات المختلفة أنّ الشفاعة من ضروريات التشيع وأنّ أئمة أهل البيت يجاهرون بذلك ، فلاحظ الأرقام التالية من الأحاديث المتقدّمة: ۸۶، ۱۰۶ ، ۱۰۹ . ۲ ـ إنّ الدقة فيما مرّ من الروايات المتواترة يقضى ببطلان ما ذهب إليه المعتزلة فى معنى الشفاعة ، وأنّ الحقّ فى الشفاعة هو ما عليه جمهور المسلمين من أنّه عبارة عن غفران الذنوب الكبيرة ببركة شفاعة الشفيع ودعائه ، فلاحظ الأرقام التالية من الأحاديث المقدّمة: ۱ ، ۷ ، ۱۵ ، ۱۶ ، ۵۵ ، ۵۸ ، ۶۵ ، ۶۶ ، ۸۵ ، ۱۰۹ وغيرها من الروايات . ۳ ـ إنّ الشفاعة كما تحفظ من دخول النار توجب خروج المذنب من النار بعد الدخول فيها ، فلاحظ الأرقام التالية: ۲۶ ، ۵۰ ، ۵۷ ، ۱۰۷ وغيرها . ۴ ـ إنّ شفاعة الشافعين مشروطة بوجود مؤهلات فى المشفوع لهم وقد جاءت شروطها فى الروايات . منها: أن لا يكون مشركاً ، ومنها: أن يكون (۹۱)

مسلماً ، ومنها: أن يكون مؤمناً ، ومنها: أن يكون محبّاً لأهل البيت لا ناصباً لهم العداء ، ومنها: أن لا يكون مستخفاً بالصلاة ، نعم من كان مؤدياً للأمانة ، وحسن الخلق ، وقريباً من الناس يشفع قبل كل أحد ، فلاحظ فى ذلك كلّه الأرقام التالية: ۲ ، ۳ ، ۶ ، ۹ ، ۱۱ ، ۱۷ ، ۲۴ ، ۹۱ ، ۹۲ ، ۱۰۳ . ۵ ـ إنّ القرآن وإن أجمل مسألة الشفيع ولم يصرّح فى ذلك إلاّ فى مورد أو موردين ، غير أنّ الأحاديث أعطت صورة مفصّلة عن الشفعاء ، وإليك أسماءهم مع الإشارة إلى الأحاديث الدالّة عليها . أ ـ الرسول الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الشفعاء ، فلاحظ الأرقام التالية من الأحاديث الماضية: ۴ ، ۵ ، ۷ ، ۸ ، ۱۰ ، ۱۴ ، ۵۶ ، ۶۹ ، ۷۳ ، ۷۴ ، ۷۶ ، ۱۰۰ ، ۱۰۱ . ب ـ الملائكة من الشفعاء ، فلاحظ الأرقام التالية: ۱۸ ، ۲۱ ، ۲۲ . ج ـ الأنبياء من الشفعاء ، فلاحظ الأرقام التالية: ۲۰ ، ۲۱ ، ۲۲ . د ـ أهل البيت من الشفعاء ، فلاحظ الأرقام التالية: ۵۱ ، ۵۶ . هـ ـ على من الشفعاء ، فلاحظ الرقم: ۶۱ . و ـ فاطمة من الشفعاء ، فلاحظ: ۶۰ ، ۸۲ . ز ـ العلماء من الشفعاء ، فلاحظ: ۲۰ ، ۶۲ ، ۹۵ . ح ـ الشهداء من الشفعاء ، فلاحظ: ۲۰ ، ۲۲ ، ۲۸ ، ۶۲ . ط ـ القرآن من الشفعاء ، فلاحظ: ۴۳ ، ۴۴ ، ۵۶ ، ۶۴ . ى ـ متعلّم القرآن والعامل به من الشفعاء ، فلاحظ: ۲۹ . ك ـ المؤمن من الشفعاء ، فلاحظ: ۷۷ ، ۷۸ ، ۸۸ ، ۹۱ ، ۹۳ ، ۱۰۵ ، ۱۱۱ . ل ـ من بلغ التسعين يشفع ، لاحظ: ۳۰ . (۹۲)

م ـ من كان حافظاً للرحم مؤدّياً للأمانة يشفع ، لاحظ: ۵۶ . ما ذكرناه عصارة هذه الروايات ، وأمّا الوقوف على الجزئيات فيتوقف على ملاحظتها واحدة بعد الأُخرى .

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ

کَلَامِنَـا لَاتَّبَعُونَـا... (بَـنـادِرُ البِـحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلّامـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّـِس مُجتمَع " القائمیّـة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشـهید آیـة الله" الشـمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحـداً من جَهابـذة هـذه المدینة، الذی قدِ اشـتهَرَ بشَـعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صـلواتُ اللهِ علَیهـم) و لاسـیَّما بحضـرة الإمام علیّ بن موسَـی الرِّضا (علیه السّـلام) و بِساحـة صـاحِب الزّمـان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهـذا أسّـِس مع نظره و درایته، فی سَـنـَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسـیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُـتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز" القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَـنـَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایـة سـماحة آیـة الله الحـاجّ السیّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَـدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحـوزات العلمیّـة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائـل الدّینیّـة، تخلیف المطـالب النّافعـة – مکـانَ البَلاـتیثِ المبتذلـة أو الرّدیئـة – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققین و الطّلّاب، توسـعة ثقافـة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِـج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشـّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشـرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّـه یُمکِن تسـریعُ إبراز المَرافِق و التسـهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَـم – مِن جـهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضیّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفید مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com
الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)
الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)
مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)
التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹
امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹